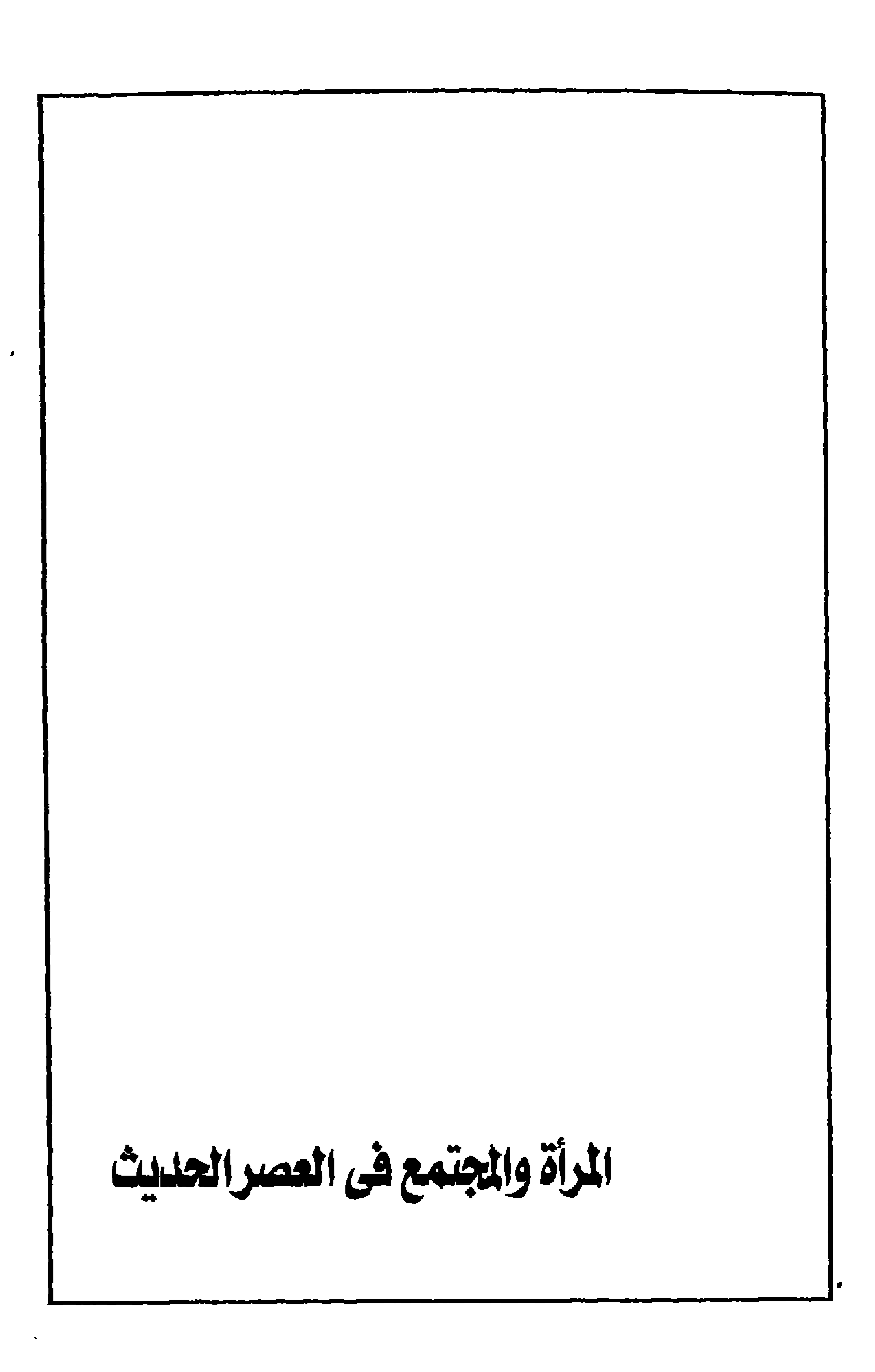
المـرأة والمجتمع

فى العصر الحديث

آمال الشرقـاوى




المرأة والمجتمع فى العصر الحديث

المـرأة والمجتـمع

فى العصر الحديث

آمال الشرقــاوى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

المرأة والمجتمع فى العصر الحديث

آمال الشرقاوى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

كيف نجعل الطلاق سهلا على الأبناء

الطلاق ظاهرة اجتماعية ثابتة ولا يمكن لمجتمع على وجه الارض ان يعيش بدونها ، فكيف يمكننا أن نجعل ذلك سهلا على الطفل وكيف يمكننا أن نجعله أقل عرضة للاضطرابات النفسية ؟

من مفارقات الحياة أن الطلاق بمشاكله الكبيرة واختلاطاته المتعددة وآثاره النفسية العميقة من الممكن أن يكون حالة طبيعية وظاهرة من ظواهر الحياة ، هذا اذا استطاع الزوجان أن يتحكما بعواطفهما واندفاعاتهما ويحكمان العقل فيما بينهما ، ولكن غالبا وللأسف هذا لا يحدث ، فإن تيار أو تيارات النفس تجرف الزوجين وتأخذ معهما الأطفال إلى عرض البحر .

نتمنى لو يستطيع كل زوج أو زوجة عندما تبدأ الخلافات في الظهور وتظهر احتمالات الطلاق في الأفق

وتبدأ هذه الاحتمالات بالتبلور على شكل حتميات • فإن عليهمـــا أن يشركا أولادهما • فيما يجــرى بينهما من انعدام توائق ومفارقات •

ونحن نقصد بذلك أن يهيىء الزوجان الأولاد الى احتمال الطلاق قبل وقوعه ، وعندما يحــدث ذلك فعــلا يجب أن يضـــع الزوجان مصلحة أولادهما فى الدرجة الأولى وقبل مصلحتهما الشخصية ولكننا نقول أيضا ان هــذا المنطق غـــير طبيعى فلو كان بامكان الزوجين أن يضعا مصلحة أولادهما قبل مصلحتهما الشـــخصية لمــا اختارا الطلاق / ولهذا نفيــد من تعبيرنا هــذا الى أن نقول ان عليهما أن يضعا مصلحة أولادهما قبل عواطفهما وانفعالاتها النفسية وألا يجعلا الغضب يقــرر مصـــير الأولاد فالعقـــل فقط هو الذى يجب أن يقــرر مصـــير الأولاد ويجب ألا يكون هناك مجال للانفعالات النفســية الشديدة ورغبات الانتقام لكى تقرر مصير الصغار •

لا أرى أن هناك أى عائق فيما لو تحــكم الزوجان فى عواطفهما أن يكون هناك طلاق هادىء عاقل يستمر الأطفال خلاله بالتواصـــل مع والديهما ولو لم يكـــونا يسكنان فى بيت واحد ، ويستطيع الطفل أن يتأقلم على

وضع أبويه مفترقين اذا كان كل منهما يعطيه من الحنان والعطف والرعاية الأبوية الحقيقية ٠

إن الطفل يحب كلا من والديه ولا يحب أن يسمع كلمة جارحة من أى أحد منهما للآخر ، وهذا يمكن بترتيب الزيارات المنتظمة بين الأب والأم والتفاهم المستمر بين المطلقين على الرغم من افتراقهما والأهم من هذا كله ألا يجعل أحد الزوجين زواج الآخر من شخص ثالث مدعاة لأن تتعثر معاملته أو معاملتهما له أى للشخص الثانى/ فان الزواج وتكراره سنه من سنن الحياة الطبيعية ويجب ألا يؤخذ كظاهرة عدائية أو انتقامية وبقليل من التفهم والتفاهم والعلاقات الطيبة مع الطفل يمكنه هنا أن يتأقلم مع زواج أحد أبويه من آخر ويتقبله ببالغ الرضا ٠ بقي علينا أن نعلم أنه مهما طالت فترة الفراق والانفصال فان الطفل يظل يحتفظ بذاكرة مثالية عن أمه وأبيه ٠

تأثير ظاهرة الطلاق على الأطفال والمراهقين

أما إذا حدث الطلاق والطفل فى مرحلة المراهقة فإن تأثير ذلك يظهر بصورة واضحة على السلوك أكثر مما يظهر على الحالة النفسية . فالأولاد فى هذا السن إذا فقدوا أبويهم فإنهم يبعدون أنفسهم عن المشاكل وينشغلون بعلاقاتهم مع أصدقائهم بصورة أكثر ويظهرون بعض مظاهر العداء لكلا والديهم أو لأحدهما الذى أو التى يعتقدون أنه السبب فى الطلاق .

فتكون الفتاة فى هذه السن أكثر عرضة للاكتئاب والقلق الذهنى الذى يؤثر على سير دراستها بينما يتأثر الذكور بطريقة مختلفة نوعا ما ، فلو كان الاكتئاب والقلق غير غريبين على الأولاد الذكور فى هذه الحالة فإن الانحرافات السلوكية تكون أكثر ظهورا من غيرها

عليهم والتعرض إلى مشاكل قانونية والافتتان بأصدقاء السوء يكون أكثر وضوحا كظاهرة اجتماعية . بالاضافة الى العوامل التى ذكرناها فإن الطلاق يحمل فى ثناياه كثيرا من المشاكل الاجتماعية التى تظهر بصورة الوصمة أو الوصمة الاجتماعية التى توصم بها تلك العائلة من قبل المجتمع والناس والعائلة الكبرى حولها .

هذا بالإضافة إلى ما يتأثر الطفل به من خلال شعوره بأن ما كان يراه مثاليا فى أبويه يبدأ بالتحطم ، كما أن حبه لأبويه يكون أكثر صعوبة للإدراك من ناحية ، فكيف يحب الطفل أباه عندما يكره أبوه أمه وكيف يحب أمه عندما تكره أباه ، وكيف يشعر تجاه أبيه عندما تتكلم أمه عن سوء خلقه وقسوة قلبه وأنانيته . إن أقل ما يشعر به الطفل فى هذه الظروف هو الاحساس بأنه طفل ومختلف عن باقى الأطفال وكل الذين يعرفهم لهم أب وأم فى نفس البيت ، ويتكلمون عن أمهم قالت كذا وأبوهم قال كذا وهو لا يستطيع القول مثلهم . هذا الشعور بالاختلاف يعطى الطفل شعورا بالخجل ونوعا من الإحساس بالعار مما يجعله يخفى حقيقة الطلاق عن أصحابه وأقرانه . وأخيرا فإن تأثير الطلاق يستمر على الطفل حتى عندما يكبر

ويبلغ مرحلة الرجال إذا كان ذكرا أو النساء اذا كانت انثى ، ان أبناء المطلقين يكونون أكثر احتمالا للتعرض للطلاق .

أما الطفل وحتى سن الخمس سنوات فإنه بالإضافة إلى الانفعالات النفسية التى ذكرناها فى الطفل الأصغر من نكوص وذهول وحالة احتيــاج عاطفى فانه أيضــا يكتسب ســـلوكا عــدوانيا وتظهــر علامات العنف في معاملاته مع الأطفال الآخــرين فالعنف والعدوانيــة تتصلان أيضا بصفات القلق والخوف المستمر وأحيانا اضطرابات النوم والأحلام المزعجة .

يكون الطفل فى هذا السن من الإدراك مما يسمى بتقصير وعذاب ضمير من أنه يلوم نفســه عــلى افتراق والديه ، فإن ذهنه الصغير يصور له بأنه كان بامكانه أن يحتفظ بالوالدين معا وأنه ربما لسوء تصرفاته أو لشيء غير جيد في شخصيته أدى ذلك إلى فقدان والديه وربما كان هذا الفراق نتيجة عقاب من الله عليه . من الواضح أن الطفل فى هذا السن لا يستطيع أن يعبر عما نذكر هنا من المشاعر ولكن تلك الأحاسيس تأتى عــلى الطفل بصورة لا شعورية يمسها فى داخله وتنعكس فى خياله وأحلامه ، وحتى نوع لعب الطفل فى هذا السن

يبدأ بالتغيير فيكون اقل مشاركة فى اللعب مع أقرانه وتقل مقدرته الخيالية على اللعب .

اما الطفل فى الخامسة او السادسة فانه يتفاعل مع أحــداث الطلاق بمزيد من القلق والاضطراب النفسى المصاحب للعنف والعدوانية ولكن بالإضافة إلى ذلك يبدأ بتسلية نفسه بالانشغال بأمور خارج البيت بأن يكون له صداقات تلهيه .

كذلك يظهر هذا السن ما يســـمى بقلق الافتراق فيكون متعلقا أكثر بأمه ويصيبه الذعر والخــوف اذا ذهبت بعيدا عنه لقضاء أية حاجة من الحاجات .

يختلف طرق تفاعل أو انفعال الطفل مع أحــداث الطلاق فى هذا السن من طفل الى آخر ، فبينما هنــاك بعض الأطفال الذين ينتكسون ويتعلقون بأمهاتهم يظهر هناك البعض من يعوق ذلك بطريقة معكوسة فمنهم من يعوقه حرمان أحد الوالدين بالاعتماد على النفس فى وقت مبكر وينكر نكرانا قاطعا تأثره بما يحــدث حوله ويمركز اهتمامه فى علاقاته مع أقرانه أو فى اهتماماته بدراسته فى بعض الأحيان وقد تظهر عليه علامات الجلد والقسوة والتحمل .

على أى حال فإن البنات فى هـذا السن يكن أكثر تعرضا للإصابات بالاضطرابات النفسية من الأولاد ٠

أما الطفل فى سن السادسة الى الثانية عشرة فانه يكون أكثر عرضـة للنـكوص واتخاذ سلوك وشخصية أصغر من سنه ٠

قد تظهر عليه علامات الاكتئاب بصورة أوضـح وتتأثر دروسه وتنخفض علاماته الدراسية ويقل نشاطه الجسمي ويميل أكثر للخمول والكسل ٠ كما أن لغياب الأب فى هذه المرحلة تأثيرا مباشرا على تربيـة الأطفـال الذكور بصورة خاصة فوجود الأب موجها للطفل هـو أقوى عامل مقو للسلوك ، ان غياب الأب له تأثير مباشر على سلوك الأطفال وخاصة الذكور حيث يميلون نحـو الانحـراف والانحراف فى تيار المخالفـات القانونيـة وتناول المخدرات والسلوك العدوانى فى المستقبل وهذا نتيجة قلة تواجد الأب كموجه بالأسرة ٠

البعد القدرى يختلف عن الطـلاق

تأثير الطلاق على الأطفال عامة يمكن التعبير عنـه بأنه ما يحسه الطفل عند فقدان أحـد أو كلا أبويه ، وأقول فقدان كلا الأبوين في هذه الحالة ، لأنه فى كثير من الظروف ما يوضع الأطفال فى بيت عمتهم أوجدتهم بعيدين عن كلا الأبوين وفقدان الأب آو الأم أو كليهما فى حالة الطلاق يختلف كثيرا عن ملابساته عند فقدان أحد الأبوين بوفاة مثلا ، فبينما إذا فقد الطفـل أحـد أبويه بوفاة أو سفر بعيد فان ذلك الأب أو الأم الراحل سوف يبقى ذكرى فى ذهن الطفـل لـو كان فى عمر يتذكره ٠

فهـذه الذكرى تكـون مملوءة بكل شىء جميـل ويظهر الأب أو الأم المفقود بصورة ملاك كبير فى ذهن الطفل ، وحتى لو فقد الطفل ذلك الأب أو الأم فى سن

لا يتذكرهما فيه فان الصورة المثالية تظل هى التى تعلق بذهن الطفل ويكون جــو الطفــل مليئا بالحب والعطف والحنان الموجه الى ذلك الطفل المسكين الذى فقــد أحد والديه تحت ظروف القدر . أما الطفل الذى يفقد أحد الوالدين بظــروف الطــلاق فانه يفقدهما فى ظروف مشحونة بالخصام والغضب والبغضاء والحقد والمعــارك القانونية وصعود المحاكم ونزولها ، والأدهى من ذلك والأمر أن الأطفــال كثيرا ما يستعملون كأداة لتوجيــه الضربات من كلا الوالدين نحو الآخر . فكل من الوالدين يحاول أن يشحن ذهن الأطفال بكل ما هــو سلبى وسيء نحو الطرف الآخر وأحيانا يستعمل أو يستغل الأطفال كوسيلة لعقاب الأم . إن المرء لا يمكن أن يتصور قسوة ودرجة من فقدان الاحساس بماهيــة الطفــل ومن أنه إنسان صغير له مشاعره وأحاسيســه من أن نرى الأب وهو يحاول معاقبة الأم بأن يأخذ أولادها منها ويرميهم عند أحد أقاربه .

المرأة والمجتمع في العصر الحديث

دخل علينا القرن العشرون بتغييرات لم يعهدها تاريخ العالم من قبل في تقدم العلم والتقنية الحديثة . مما لم يكن تأثيره على أسلوب الحياة المادية فقط وانما تعداها الى تغييرات في صميم التركيب الاجتماعي ونمط الحياة العائلية ، وبالتالي أدى هذا الى تأثيرات نفسية واجتماعية لا عند شعوب العالم الثالث والمنطقة العربية فقط بل حتى في الحياة الغربية نفسها . فلقد كانت امهاتنا وجداتنا لا يمللن من كثر الانجاب ، وها نحن نحدد نسلنا على الرغم من تقدم وسائل العناية بالطفل وسهولتها ، فتطور الطب ساعدنا في كثير من الأمور ، وزاد من قابليتنا ومقدرتنا على التربية والبقاء مع أطفالنا أكثر ، وحتى إرضاعهم لم يعد شيئا لا يعيش الطفل الا به .

فوسائل الرضاعة الاصطناعية تعطينا الكثير من الحرية والوقت . فهل نقضى هذا الوقت لتقوية علاقتنا مع أبنائنا وتغذيتهم بالغذاء الروحى الذى هم أكثر حاجة اليه من الغذاء المادى ؟ هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نرى أن ازدياد مستوى الوعى الثقافى عند المرأة والرجل على حد سواء ، جعلهما أكثر قربا من بعضهما البعض فالرجل قديما كان لا يرى واجبه الا فى الكد وجلب الرزق أو يقضى باقى وقته مع زملائه الرجال ، أما الآن فانه يرى نفسه شخصا أساسيا فى تربية أطفاله والعناية بهم وتقديم الثقافة الاجتماعية لهم . سواء كان ذلك فى مراجعتهم المباشرة لدروسهم فى البيت أو من خلال الفسح والنزهات التى يقوم بها والتى لا تخلو من أثر تربوى عميق ، وبذلك نرى أن الطفل فى عصرنا هذا لا يربى من قبل الأم فقط ولا حتى من ناحية الأب فقط فهناك عناصر تربوية جديدة قد دخلت فالمدرسة والحضانة مثلا تلعبان دورا لا يستهان به فى تنشئة هذا الجيل ، بالإضافة إلى الظاهرة الخاصة والتى هى ظاهرة استقدام المربيات والتى يكون تأثيرهن على الطفل تأثيرا كبيرا .

ومن هنا نرى أن تربية الطفل لم تعد من مهـام الأم فقط سواء أردنا أم أبينا ، فالحياة العصرية تفرض نفسـها . ولـو نظرنا الى هذا الموضوع نظرة موضوعية فان تربيـة الطفـل من قبـل كل هـذه المصـادر وان كان لها بعض السلبيات فانها لا تخلـو من المحـاسن ، فمساعدة الآب فى تربية أبنائه شىء جميل ، وتجربة الطفل فى المدرسة لا تخدمه من الناحية الثقافية فقط ولكنها تزيد من قابليته الاجتماعية وتنمى عنده القدرة على العلاقات الانسانية ومعايشة الآخرين وبذلك تكون المدرسة هى الرباط الذى يكون عند الطفل المقدرة عـلى توافق احتياجاته الشخصية والاجتماعيـة منهـا وحتى الاقتصادية مع احتيـاجات المجتمع من حوله ، وحتى ظاهرة اجتلاب الخادمات الأجنبيات فانها لا تخلو من أوجه ايجابية فيما لو تمكنت الأم من تفادى سـلبياتها المعروفة والتى طالما تحدثت عنها الصحف والمجلات فلو استطاعت الأم ذلك فان الأوجه الايجابيـة لا تخلو من أهمية ، فالمربية الأجنبية تعلم الطفل لسانا آخر يستفيد منه الطفـل فى المسـتقبل وكذلك تزيد من فضـوله الاجتماعى والثقافى فى محاولة معرفة المزيد عن أصل مربيته وبلدها ولغتها ، كما أنه يتعلم كيفية التعـامل

مع أجناس البشر المختلفة فى هـذا العـالم الذى يزداد صغرا كل يوم بتقـدم طرق المواصـلات والاتصـالات ووسائل الاعلام المختلفة ٠

وهناك وقفة أخرى على حيـاة العائلة العصرية ، فإننا نرى كذلك ٠٠ بشأن الأم فى العائلة واهتمام الأب المتزايد بأولاده ، قد دفع الأسرة الى الابتعاد عن محيط العائلة الأكبر فلم يعـد الأولاد يتزوجون وهم فى نطاق العائلة الكبرى ، فكل يستقل بسكنه ويقـل الاتصـال بالجد والجدة والعم والعمة ، فقديما كان كل هـؤلاء يشاركون جذريا فى حياة الطفل ، والطفل الآن محروم من جدته التى تقص له الحكايات وجده الذى يلاعبه ٠ وتضعف بذلك الأواصر العائلية وتكبر هـذه لتـكون مجتمعا أقل ارتباطا بالعائلة ككل فليس غريبا أن نرى الجد والجدة فى مسكن مستقل وحياة تملؤها الوحدة ، وهذه العزلة العائلية أو عزلة العائلة كما تسمى عنـد بعض الباحثين بدأت تدخل فى أكثر من مجـال ويظهر أثرها ويتوسع ، وبينما كانت المرأة فى السـابق كاملة الاعتماد على الرجل سواء أكان الأب أو الأخ أو الزوج أضبحت الآن تقوى اعتمادها عـلى نفسـها وزادت من استقلال شخصيتها وهذا بالطبع له ايجابياته وفوائده ،

ولكنه من ناحية اخرى جعل المرأة اكثر عرضة للاجهاد النفسي . وجعلها وجها لوجه أمام ضغوط الحياة والمجتمع مما يجعلها أكثر عرضة للاضطرابات النفسية وفي نفس الوقت ربما قل اتصالها في البيت وواجباتها كأم . فهي تقف على حافة غير مستقرة ممزقة بين غريزتها كأم تود البقاء في البيت وبين رغبتها في تعزيز مكانتها واقامة كيانها في المجتمع ككل هذا بالاضافة الى أن عمل المرأة في كثير من المجتمعات لضرورات اقتصادية وليس لاقامة واجهة اجتماعية والكثيرات من النساء يحاولن أن يوفقن بين الاثنين فهي امرأة عاملة وأم وزوجة كاملة في آن واحد ، ولا ننكر أن الكثيرات من النساء يستطعن ذلك فعلا بينما يظل الزوج محتفظا بواجبه الأساسي خارج البيت، يتوقع الطعام على المائدة في وقته المحدد مهما كانت الظروف، هذا اذا كانت الحياة الزوجية هادئة ومستقرة يسودها التفاهم فماذا لو كانت غير ذلك ، وماذا لو عصفت الرياح بذلك العش الهادي ؟ وكثيرا ما تعصف فعلا فماذا يكون مصير تلك المرأة ؟

إنها قديما كانت تذهب بهدوء وترجع الى أبيها وتضع يدها على خدها في انتظار مصير آخر يقرره لها

أبوها أو أخوها واللذان يريان أن ذلك من صميم عملهم وواجباتهم العائلية أما الآن فهل تذهب المرأة فعلا الى بيت أبيها ؟ ربما كان ذلك ولكننا نرى أن العزلة العائلية تلاحقها . فالعائلة الكبيرة لم تعد مترابطة متماسكة كما لو كانت فهناك زوجة الأخ التى تحتج وهناك الأخ الذى يتذمر وحتى الأب والأم لا يخفيان خيبة أملهما وتكون المرأة حائرة بين بيت زوجها الملتهب أو بيت أبيها أو أخيها الرافض .

إن عزلة العائلة وضع طبيعى ونحن ولله الحمد وإن امتدت الظاهرة إلينا إلا أن مجتمعنا مازال متمسكا بعاداته وتقاليده العريقة التي يحميها ديننا الحنيف وأخيرا هناك ملاحظة ربما لا تظهر بوضوح ، الا اذا دققنا النظر ، وهى تأثير العصر الحديث وتقدم العلوم ومفاهيم الحضارة والاهتمام بالتحصيل الدراسى على نفسية المرأة كأم ، فيصيب الأمهات ما يشابه الهوس الذى يسيطر على عقول الأمهات ، وهو أن أهم شىء فى حياتهن هو أن يرين أبناءهن يصلون الى أعلى الدرجات فى علمهم ومستقبلهم وأن يدخلوا أكبر الجامعات وبذلك يكون موسم الامتحانات موسم طوارىء حيث يعيش كل فرد من أفراد العائلة فى حالة توتر وقلق مستمرين، وتبدأ الأم فى وضع كل أنواع الضغوط على أبنائها من

ناحية دراستهم وفى خلال العام لا تكف عن دفع أبنائها الى المواظبة مما يجعلهم فى حالة سهر وتوتر مستمر ، ومن الطبيعى أن تكون لكل طفل قابليته الخاصة وطبيعته . وهناك من لا يستطيع تحمل هذا الضغط المستمر .

٢

نظـرة ·· فى الزواج

● نحب أن ننظر الى الزواج على آنه النهاية أو البـداية التى يضـعها اثنان عنـدما يريان آن آمالهما وأحلامهما ومثلهما متشاركة الى درجة تجعلهما راغبين فى وحدتهما · فهذا شىء جميل ولكن هل هـذا فعـلا ما يحـدث الحقيقة لا ، حتى فى أكثر البـلاد تقـدما واختلاطا يكون الضغط الاجتماعى هـو العامل الأكبر فعالية· فبمجرد أن يعرف اثنان من الناس أنهما ملائمان لبعضـهما تبـدأ الألسن وتنتشر الأقاويل بين الأقارب والأصـدقاء وخصـوصا الأم وأحيـانا الأب ، ويزداد الضغط اذا كان هناك نوع من القرابة بين الاثنين ولو سألنا أى زوجين بعد سنين من الزواج ، لماذا تزوجتما ؟ لكان جوابهما ، لأن الجميع قالوا انه الطريق الأنسب

لنا وأكثر الناس يتزوجــون فى عمـــر يعتبره الآخرون « أى المجتمع » هو السن أو الوقت المناسب ، وهذا بغض النظر إذا كان ذلك هو السن أو الوقت المناسب لهـذا الشخص بالذات •

ومن هنا يبدأ الشاب يشعر بالضغط عليه بأنه يجب أن يتزوج لأن هذا وقته وان لم يكن أمامه أحيانا سوى تلك الفتاة فى تلك اللحظة لأن الزواج شىء متوقع من الناحية الاجتماعية وهو أحب المؤسسات الاجتماعية الى القلوب ، هذا بالاضـافة الى انه وسـيلة للخـلاص من الشعور بالوحدة ، أو عدم الامان من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرهما أو للخلاص من الضجر فكثير من الناس يتزوجون نظرا لهذا الشعور •

وتكون هذه المناسبة نقطة تحول كبير فهى ترمز الى بداية رباط اجتماعى قوى لا يمكن أن يتأثر الا بأشد الظروف قساوة ، ويدخل الزواج هنـا بعـدة مسـائل قانونية وشرعية فليس من يفسخ الخطـوبة ولو حتى بعد عقـد القران كأنه كسر القيـد الذى يعلن بعـد الزفاف ، والزفاف هنا حدث علنى لـكل النـاس يذاع خلاله أن عائلة جـديدة قد تكـونت وعـلى المجتمع أن يعاملها كذلك ويفرض عليها الواجبات والأصول المترتبة

على ذلك ، وبعد الزواج يبدأ الزوجان بعملية نضـوج بطيئة ، وبعدة تغيرات يجب أن تحدث حتى تكون زواجا ناجحا ، وكل نفس يجب أن تتأقلم مع النفس الأخـرى وفي الزواج الناجح يجب أن يكون هنـاك نفس واحـدة تبنى عليها أمنيات واحتياجات كل من الزوجين ، ثم بعد ذلك يحاول كل منهما أن يؤقلم احتيـاجاته ورغبـاته وأداءه لتتماشى مع طبيعة هذه النفس الموحدة ، ولكن هذا لا يعني مطلقا الذوبان الكامل من الشخص للآخر أى وجود نفس موحدة خارج كل منهما لا يعنى الاندماج فيهـا كاملة ، بل يبقى كل زوج محتفظا باسـتقلاليته وشخصيته ولكنه دائما يحاول أن يؤقلم ذلك طبقا لهذه النفس الموحدة . هذا شيء جميل لو حدث فعلا ولكن السؤال هل هذا يحدث فعلا وهل صحيح أن الزواج يؤدى إلى هذه النتيجة السعيدة .. للأسف لا ففي جميع بلدان العالم تزداد نسبة الطلاق عما كانت قبل سنوات مضت وحتى بعض الزيجات البـاقية التى مازالت محتفظـة بمقوماتها الاجتماعية هل هى أحسن حالا من الزيجات التى انكسرت ، الله أعلم ، فكم من زوجين يعيشان معا لغرض واحد هو الاحتفاظ بذلك الكيـان الاجتماعي ليس إلا ، وما يتطلبه هذا الكيان من تربيـة أطفـال وعلاقات أخرى .

إن أصعب ظروف يمكن أن تواجه الانسان بعـد موت أعز النـاس لديه هو الطـلاق واهتزاز العلاقات الزوجية ، ويشتمل الزواج على أكثر من مصدر للتوتر والشـد العصبى ومهما كان خفيفا فإنه مضى الـوقت يؤثر على قدرة كل من الزوجين على التحمل ، ويضعف من مقاومتهما النفسية ، وهناك نقطة أخرى تؤدى الى هذا وهى نشوء الزوجين فى مجتمعين مختلفين قد يكون من أصعب الأمور التى تواجه الحياة الزوجية ، وإنما اختلاف طريقة الحياة قبل الزواج ، أو اختلاف الثقافة والنشوء ، كل هذا يجعلهما على خلاف فى أكثر نواحى الحياة فمثلهما وآمالهما وأحلامهما قد تختلف باختلاف خلفياتهما ونظرتهما الى الحياة وطريقة تربية أطفالهما أو حتى رغبة كل منهما فى عدد من الأطفال ووسـائل حديد النسل أو طريقـة هـدف كل منهما أو طريقـة التصرف فى المادة وتدبير الحياة الاقتصادية وكل ذلك قد يختلف باختـلاف طبيعة الزوجين وثقافتهمـا كمـا ذكرنا ، وبعـد ذلك يجب ألا ننسى ما يسـببه فى معظم الأحيان أهالى كل من الزوجين من التدخل من قبل أى طرف ومع هذه المشاكل ان وجدت يتعامل الزوج مـع

زوجته بطريقة غير لائقة وربما بألفاظ غير مقبولة وتبدأ الزوجة بالنق كما يقال وبالكلام الكثير فيصبح كل منهما لا يطيق الآخر ويشعران بأنهما غرباء تحت سقف واحد ويدب هنا النفور وبهذا تخلق مشكلة أخرى ٠

وهنا تكون قد تقطعت جميع العلاقات بينهما وتبدأ الحياة بالاستحالة ٠ سؤال أحب أن أطرحه وهو محير لماذا نضع داخل نفوسنا قبل الزواج أننا مقبلون على الفشل ؟

وان كان هذا صحيحا فهل نختار شقاءنا بأنفسنا أظن انه ليس شقاء فلا أحد يلقى بنقوده ويسلم حياته لانسان آخر وهو يعرف انه سيفشل ولكن يبدو أن هذه ترسبات وضعناها داخلنا ومن الصعب الخلاص منها ٠

ومتى سنخفف الضغط والالحاح على الأبناء ونضعهم تحت الأمر الواقع فيضطرون فى كثير من الأحيان الى الموافقة على ما ليس مناسبا فقط مجرد ان الوقت حان للزواج وبعدها تكون الكارثة ٠

وهذا طبعا لا ينفى أن هناك زيجات كثيرة ناجحة وهناك طـرفان متفقان ولـكن لابد أن توضـح بعض السلبيات لنستطيع التفكير بها ، ونجد لها حلولا مناسبة بقدر المستطاع ، وربما تكون هناك أشياء غائبة عن أعيننا ومعذرة إن كنت قاسية بعض الشيء ولـكن هذا هو الواقع باختصار ٠

ونظرة فى الطلاق

من الطبيعي أن يكون الحزن من نصيب اى انسان يفقد أعز الناس عليه ولكن ماذا يكون شعور الانسان الذى يفقد ذاته ، يفقد داخله وكيانه وكبرياءه . الحزن وحده عندئذ لا يمكن أن يكفى للتعبير عن هذا الشعور . انه أعمق وأعمق وأصعب من ذلك .. فمجرد كلمة مطلق أو مطلقة وخصوصا الأخيرة في مجتمعنا توحي بأن ذلك الانسان منبوذ مبعد ومعزول ، وصفة الفشل هي الغالبة عليه فقد فشل فى الاحتفاظ بأعز ما يملكه المجتمع من مؤسسات الا وهى الزواج .. وكبرياء الانسان هي أعز ثمن يدفعه أى كائن على الوجود . ونبذ المجتمع وتخلى الأصدقاء حتى لو ان ذلك لم يحدث فعلا ، ولكن الشعور بذلك يحيل الحزن الى سوداوية قاتمة إن الفترة التى تسبق الطلاق تكون عند

أكثر الناس مشحونة بالعـواطف المتقلبـة والمشـاعر المتغيرة ، الغضب والندم والكراهية واليـأس والأمل ، والارتياح الذى يشعر به الانسان اذا فكر فى الخلاص من هذا الضغط القاتل الذى يكتمه فى زواج فاشل ، سرعان ما يقتل هذا الشعور من قبل الخوف من المستقبل كل تلك الانفعالات تصول وتجول فى كل يوم يمر على زواج غير مستقر ، فالقـدرة عـلى التركيز هنـا تقل وضعف الانتباه يزداد وشتات الفكر يكبر يوما بعد يوم وفى كل مرة ينهك العقل والفكر والنفس بين اتخـاذ القرار والتراجع عنـه . وعـلى الرغم من أن تجـربة الطلاق تعتبر من أقسى ما يمر به الانسان الا أنه يبقى

~~تعتبر من أقسى ما يمر به الإنسان إلا أنه يبقى هنـالك~~

هناك من تهدأ حياتهم بعدها ، فحوالى العشرين بالمئة من المطلقات فى أمريكا مثلا شعرن بالراحة والسعادة بعـد الطـلاق ، مهما تغـير المجتمع فان نظرة النـاس الى الطـلاق تظل كمـا هى النظرة السـلبية حتى لو كانت نتائجها ايجابية مع الطرفين ، ومهما كانت الحقيقة فإن كلا الزوجين سوف يبحث عن عذر وقصة خاصة يواجه بها أصحابه وأصدقاءه وأقاربه . تجعله أو تجعلها تظهر بالمظهر الطبيعى قدر الامكان ، والحقيقة أن الآلام التى

يسببها انهيار الزواج ربما لن تزول قبل سنتين بغض النظر عن اختلاف المحيط والمجتمع .

وبعد أن يتم الافتراق ، فهل تنقطع الصلة نهائيا فى الواقع لا يمكن ذلك فهناك المشاكل الاقتصادية وتسوية الأمور المالية ، وربما حاولت الزوجة أن تجد عملا ومن ثم عليها أن تنتقل الى بيت أهلها الذين لن تشعر بوجودها معهم مثل السابق ، فسوف تكون النظرة اليهاكضيفة أو نزيلة فى بيت والدها أو أخيها ثم هناك التغيير الآخر فى العلاقات الاجتماعية الأخرى وعمل أصدقاء جدد ومعارف آخرين ، كل ذلك بالضرورة يكون على حساب الأعصاب وطاقة التحمل البشرية التى مهما قويت فلها حدود اذا تجاوزتها انهارت .

ربما كانت كلمة الطلاق كلمة واحدة .. ولكن كم معنى لها ؟ فهى فى اللغة تعنى الافتراق ولكن الافتراق الشديد والمصحوب بقسوة وعنف أوهنا فى المعنى الواقعى أكثر من ذلك فانها تعنى الفراق على أكثر من صعيد فهناك الطلاق العاطفى ، ثم الطلاق الشرعى أو القانونى فالطلاق الاقتصادى ، والطلاق على مستوى الأبوة والأمومة .

أما انطلاق العاطفي فهو يبـدأ قبـل الفراق وله جذوره العميقة داخل الزواج . فاذا استمر هذا النوع من الانشقاق العاطفي ولم يكن بالامكان أن يلتحم ، كان انطلاق الشرعي هو النتيجة • وهنا تبدأ حياة جديدة بكل ما فيها ، فلم يعد الزوجان زوجين فكل أصبح حرا في أن يتزوج من شخص آخر شرعا وقانونا ولا يخفى ما له من تأثير نفسي شديد على كل من الطرفين فبعد ان كانا أقرب الناس الى بعضهما أصبحا بعيدين كل البعد عن بعضهما ، ثم يبدأ بعد ذلك نوع آخـر من الطلاق وهو الطلاق الاجتماعي ، فكل عليه أن يجد مجتمعا آخر غير الذى تعود عليـه ، فكمـا بدا الزواج بارتبـاطات اجتماعية جميلة ، فإنه ينتهي بخسارات الاجتماعيـة ، وكما بنيت علاقات جديدة في بدء الزواج تهدم علاقات أخرى في نهايته / وهكذا الحال في الطلاق الاقتصادي فكما بنيت البيوت قطعة ، قطعـة ، ونمى المـال شيئا فشيئا ، فسوف يتأثر هذا المال • فالمرأة تطالب بمؤجر صداقها ، ثم كيف تحـل مشـكلة النفقة ومصـاريف الأطفال والسـكن الجـديد وكل ما من شـأنه تعقيد المشكلة أكثر واضافة ضغط نفسي آخـر عـلى نفس منهكة ، ولكن هل هذا نهاية هذا الشد والتوتر ؟ بالطبع لا فهناك الطلاق الآخر وهو طـلاق الأبـوة والأمومة ،

هنا يبدا الصراع على حضانة الطفل ثم ترسى على أحد الابوين إما بالقضاء او برضى الطرفين و بغض النظر عند من يكون الطفل فسيكون الطرف الآخر قلقا على مصيره وقد لا يرضى بالطريقة التي يتربى بها طفله ، وقد يزرع أحد الطرفين الحقد والكراهية عند الطفل للطرف الآخر ، وقد ينشأ الطفل في كنف زوجة أب أو جدة عجوز غير مستعدة له ، ثم هناك شعور الأم ماذا تفعل ؟ هل تفضل أن تعيش حياتها وتأخذ نصيبها من الزواج مرة أخرى ، وهي بذلك قد تخسر طفلها ، واذا فعلت ذلك فانها لن تخسر طفلها فقط ، وانما ما هو أصعب خسارة وهو ما تراه في احترام المجتمع لها . والحقيقة ان خسارة احترام المجتمع أصعب بكثير على النفس من آية خسارة أخرى ، فالنفوس الضعيفة التي تأتي فيها الكرامة بالدرجة الثانية هي من أكثر مسببي الألم للمطلقين أو المطلقات ، ومجتمعنا لازال ينظر الى المرأة باعتبارها أما قبل أن تكون إنسانة مستقلة ولها كيانها الخاص ، واحتياجاتها البشرية .

فياترى ما يكون موقف وشعور هذه الأم التي لا تجد خيارا الا أن تكون كما يراها المجتمع ، وكيف سيكون شعورها نحو أطفالها عندما تراهم سببا في حرمانها من

شخصيتها كامرأة وأنثى لهـا أحاسيسها ومشـاعرها ، وعلينا أن نعرف من واقع الحياة ، انه لا توجد امرأة تعترف بما فى نفسها اذا كان ذلك على حساب احترام المجتمع لها كأم ، وحتى لو افترضنا رضى المجتمع عنها فيما لو اختـارت أن تجـدد حياتهـا مرة أخرى فهـل يا ترى سوف تقدم على ذلك وهى هادئة البال سعيدة ؟· لا أظن ذلك فمهما كان اختيارها موفقا ، فستظل تحدث نفسها يا ترى هل كان على أن أضع راحة أطفالى أمام راحتى ؟ وهل ما فعلته سوف يؤثر على طفلى ؟ فقد يكون الجـواب نعم والأكثر لا ، ولـكن الحيرة والتسـاؤل يبقيان ·

إن الطـلاق هنـا يعنى كسر لحـالة جعلت من الانسان اليفا ومعتمدا عـلى شـخص آخـر وقد ألغيت استقلاليته الذاتية ، فالزواج كان بداية التخلص من هذا الاستقلال ، والاعتماد على النفس وابدالها بألفة وحياة جديدة وكثير من الناس لا يستطيع أن يتأقلم على هذا الانعكاس فالاعتماد على النفس والرجوع الى الذاتية صعب جدا ، ومنهم من لا يستطيع النهوض بعد هـذا السقوط ، وبإختصار فإنه فى الطلاق العاطفى يكـون

الغضب والشعور بالنبــوذ ، وفى الطــلاق القــانونى والاقتصادى يكون الشعور بالظلم وفى الطلاق الأبوى يكون الشــعور بالمرارة · وتنتهى المأســاة بالوقوع فى الوحدة والعزلة والأسى ·

أطفالنا بين : تأثير الخدم ٠٠ وتأثير المال

فى موضوعنا هذا نحاول أن نعرف تأثير الغنى على الأطفال ونموهم النفسى ٠٠ والعقلى ٠٠ هنا يكبر الطفل ولم يتطرق الى ذهنه أى نوع من القلق حـول كيفيـة الحصول على المال وجلب الرزق بالعمل ، وهؤلاء تتميز حياتهم بالحشم والخدم وكثيرا مالا يكون عندهم اهتمام كبير للتحصـيل العلمى العـالى ٠ اللهـم الا لأسـباب اجتماعية وعائلية ٠

هنـاك عـدة عـوامل تؤثر عـلى نمـو الطفـل ونضوجه فى هذه الظروف وأهم هذه العوامل ولا شك هى قيام الخادم أو المربى بتربية الطفل بالدرجة الأولى وأهم من ذلك لأن دور الأبوين سوف يتقلص ، ولا ننسى أن الخادم ليس بأحد أفراد العائلة وبذلك يكون دائمـا

وأبدا بموقف احد الموظفين او الموظفات على الرغم مما
نجده من تفاعل ظاهرى بين المربية والطفل فلا يمكن ان
يصل فى يوم من الأيام الى درجة التفاعل التى تحصل
بين الطفل وامه او جدته او أى شخص قريب له فالخدم
والمربيات دائما يكونون من طبقة دون مستوى العائلة
ولهم قيم اجتماعية تختلف كثيرا عن قيم ومبادىء عائلة
الطفل علاوة على أن المربى لا يرى أن من واجبه
أن يعطى الطفل غير العناية الميكانيكية من مأكل وملبس
وحراسة وما شابه ذلك ٠

والطفل مهما كانت علاقته بمربيه لابد أن يتأثر
به ٠ وهذا التأثر كثيرا ما يؤدى الى بعض التشوش
فى تفكيره ٠

ففى الغالب لا يستطيع الطفل أن يربط بين واقعه
وواقع عائلته من جهة ومما يراه من واقع اجتماعى
مختلف عند مربيه ٠

ومما يعقد الأمر أحيانا احساس هؤلاء الخدم
بالغيرة والحسد تجاه مخدومهم ، والغيرة والحسد كما
نعرف شعوران انسانيان من الصعب التخلص منهما
فى بعض الأحيان وهنا نرى عاملين متضادين فى داخل

المربى عامل الخـدمة والقيـام بالـواجب الذى يقتضى التظاهر بالحب والعناية بالطفل والعامل الآخر هـو الحسد والغيرة تجاه عائلة الطفل التى تنعكس عليـه مباشرة ، وعلينـا أن نتصـور النتـائج والانعكاسـات النفسية التى ستكون لدى الطفل فى تلك الحالة .

ومما يزيد الموضوع تعقيدا هو أن كثيرا ما يحدث أن الأبوين نفسيهما مرا بنفس المرحلة أى تربيا عـلى أيدى الخدم وبالتالى لا يستطيعان أن يقوما بمقـام الأب أو الأم على أتم وجه لأن فاقد الشىء لا يعطيه . وهذا النوع من الحرمان ينتج أطفالا ضـعيفى الشـخصية وكثيرى الحسـاسية ، ولا يصـمدون لأدنى ضغط من ضغوط الحيـاة ، وبذلك يكـونون عرضـة للقلق والاكتئاب تحت أبسط الظروف هذا بالاضافة الى أن الطفل الذى يكبر فى نعمة لم يفـكر لحظة فى كيفيـة جلب العيش والعمل لأجله فكثيرا ما نرى شبابا لا يعرف هويته فى الحياة ، وما وظيفته فى المجتمع مما يزيد من الصورة الباهتة لشخصيته .

هناك عامل لا تظهر أهميته لأول وهلة الا انه من أهم العوامل التى تساعد على نمو ونضوج الطفل النفسى ذلك هو الاختلاط مع الأطفال الآخرين فى مثل عمره ،

إن اختلاط الطفل مع باقى الأطفال لا يقل أهمية عن أهمية وجود الأب او الأم . فتأثير باقى الأطفال عـــلى الطفــل بالغ العمق •• فالطفــل يتعلم منهم أكثر مما يتعلم من أبويه فى كثير من الأحيان •

واخـــيرا هنـــاك موضوع نسميه الدلع واذا أردنا تعريفه فربما قصدنا به الحالة التى يعطى فيها الطفل كل ما يريد وقت ما يريد بغض النظر عن ملاءمة طلبه الظروف المحيطة به ، باختصار هذه الطريقة فى التربية ربما كانت من أخطر ما يعامل به الطفل • فهذا الطفل يكبر وهو معتقد ان كل ما يريده يجب أن يجـــده وكل ما يضايقه يجب أن يزول ، ربما كان هذا ممكنا وهـــو طفل وكل ما يطلبه لا يتجاوز لعبة يلعب بها أو قطعة من الحلوى ، ولكن الحياة الواقعية شيء آخر •

فمن المستحيل أن يتوفر كل شيء يبتغيه رجل ناضج ومطالب الحياة أكبر وأكثر من أن توفرها المادة فقط ومن هنا فلابد أن يتعرض هذا الشاب الى ما يحيطه ، وكثيرا لا يتحقق ما يريد ومن هنا تكون الطامة الكبرى فالطفل الذى تعود على وجود كل شيء بإشارة منه يكبر ولا تكبر معه القدرة على مواجهة الصعاب والصبر عـــلى مالا يستطيع •

ويكبر ضعيف الأبنية النفسية ، قليل الاحتمال عرضة للانهيار ونوبات القلق والهياج • وكثيرا ما يفقد مثل هذا الشاب القدرة على السيطرة على غضبه عندما لا يتحقق ما يريد يثور فى معظم الظروف مما يضعه دائما فى مواقف حرجة •

الحرمان من الأمومة
(المؤقت والدائم)

يأخذ الحرمان من الأمومة عـدة أنواع ، ولكـن لسهولة البحث يمكن حصرها فى ثلاثة أنـواع ، اولا الحـرمان من الأمومة فى المؤسسات الخـيرية عنـدما يوضع الطفل المجهول أو فاقد الأبوين فيها الى أن يجد من يتبناه ، والنوع الآخر المتأتى من قيام أكثر من امرأة واحدة بمهام الأمومة ثم الحرمان من الأمومة • ولنذكر هنا كلا منهما عـلى حـدة بنـوع من التفصـيل . أولا وضـع الطفـل فى المؤسسـات وبطبيعة وضـع تلك المؤسسـات الخيرية ، يوضـع فيهـا الأطفـال هم فى سن مبكـرة جـدا وحديثى الـولادة ، ولهـذا فإن تأثير الحرمان من الأمومة يكون على أشـده عنـد هؤلاء الأطفال ، وقد ثبت أن الطفـل الرضـيع المعـرض الى الحرمان لمدة طويلة يقـاسى من تأخـر نموه العقلى

والعاطفي الذى يؤثر على تركيب شخصيته ، خصوصا اذا كانت المؤسسة التى يقيم فيها رديئة وتخلو من عدد كاف من المربيات ويقل بذلك الاهتمام المعطى لكل طفل ، وتخف هذه المعاناة اذا كانت العاملات المشرفات على هؤلاء الأطفال من الكثرة فى العدد والجودة فى النوعية بحيث يعطى لكل طفل مقدار من الرعاية وانحنان مما يعطيه الشعور بالاطمئنان . وقد وجد أن مقدار التأخر فى النمو العقلى والذكائى يقل مع ازدياد كمية المحفزات الحسية والعاطفية التى تعطيها المربية لهذا الطفل . وأكثر وظائف الجهاز العصبى حساسية بالحرمان هو الذكاء والنمو القوى فيتأخر ظهور الكلام عند هؤلاء الأطفال كذلك يصيبهم نوع من التبلد العاطفي والفتور ، وعندما يكبرون كمراهقين ، نجدهم ميالين الى العزلة وتنقصهم المهارات الاجتماعية وتكوين العلاقات ، كما ينعدم عندهم الشعور بالذنب وتتحكم فيهم الأهواء فيندفعون نحو أى حافز يخطر ببالهم ، هذا بالاضافة الى ميولهم العدوانية .

والنقطة الأخرى ، تعدد الأمهات ، يعنى هنا بتعدد الأمهات تعدد الأفراد الذين يقومون مقام الأم ومهامها ، فالأطفال لا يولدون وهم يعرفون أمهاتهم ، بل الأمومة عملية معقدة تأتى من تجارب الطفل مع الشخص

عملية معقدة تأتى من تجارب الطفل مع الشخص القائم بشئونه ، فيتعلق به بغض النظر عن درجة قرابته او قرابتها له ، وكما ذكرنا عن أطفال المؤسسات عندما تقوم العاملات المربيات بدور الأم فإنهن يعملن ذلك بموجب عمل يومى وساعات محدودة سرعان ما تنتهى لتأتى مربية أخرى لتكمل اليوم مع الطفل ، فلا يستطيع الطفل هنا أن يكون صورة للأم بذهنه الا بصعوبة كبيرة وبعد مضى وقت طويل ٠

وكثيرا ما لا يستطيع الطفل ان يتأقلم مع هذه التغيرات فيتأثر نموه وهذا ضرر واضح ، ولكن الحال مختلف عند الأطفال فى بيوتهم ، فلو تعددت مصادر الرعاية والأمومة وذلك لوجود جدة فى البيت مثلا وفى بعض الأحيان يوجد عمه وخاله أو أخت كبرى ، بالاضافة إلى الجدة وكل هؤلاء بنفس الوقت يعطونه ما تعطيه أمه الحقيقية ، وهذا يحدث فى كثير من البيوت، وفى الحقيقة هناك بعض الدراسات التى تشير الى أن هؤلاء الأطفال الذين يلقون الرعاية الأمومية من أكثر من امرأة ينمون بصورة أصح ويكونون ذوى شخصية أكثر اكتمالا عند الكبر ، وبمعنى آخر فإن تأثير هذه الحالة على الطفل جيد وليس العكس ، والنقطة الأخرى

هى فراق الآم ، من طبيعة هذا المصطلح أن الحرمان من الامومة قد اتى بعد فترة كان بها نشاء وعلاقة امومة طبيعية ، أى بعد أن أخذ الطفل بعض حقه من الامومة وهو قد تعدى فترة الالتصاق . وكما هو معروف . إن الطفل الرضيع يولد ولديه رغبة غريزية للالتصاق بالشخص الذى يعطيه أكثر الرعاية والحنان ، والذى يجده دائماً ، وهو بطبعه أيضا يميل الى الالتصاق أو التعلق بشخص واحد رئيسى فى حياته يمثل الأم ، ويختار عادة الطفل المربى الذى يكون أقدر على تقدير أحاسيسه واحتياجاته كطفل من غيره والذى يكون فى الغالب الأم ، وفراق الأم نوعان ، الفراق الدائم والفراق المؤقت ، ويكون الأول بحادث وفاة مثلا أو مرض شديد مزمن أو عدم استطاعة الآم أو رفضها أو قسوتها بالنسبة لرعاية طفلها ، ويكون الثانى لأى سبب كمرض الطفل أو الأم المؤقت أو السفر أو غيره ، والحقيقة أن تأثير كلتا الحالتين على الطفل يتوقف على طول مدة الفراق قبل أن تتوفى الأم نفسها اذا كان الفراق وقتيا أو حين يتوفى من يعوض عنها ، وكلما ازدادت فترة الفراق وكلما قل عمر الطفل ازداد التأثير المؤذى على الطفل ، فالطفل الرضيع مثلا اذا افترق عن أمه لفترة طويلة فانه يصاب بأعراض الاكتئاب ، واذا

استمر هذا الفراق أكثر دون تعويض بتواجد الأم أو من يقوم مقامها ، بإنه يكبر وهـو يعـاني من تخلفات في النمو الذكائي والعقلي والعـاطفي وبصـورة عامة فالطفل (فى السن من أشهر إلى السنتين) يكون أكثر حساسية وقابلية لأن يتأثر تأثيرا شديدا ٠

وفي الحقيقة هناك فترة زمنية تتغير حسب نـوع الحرمان وسن الطفل اذا تجاوزت فان التأثير المدمر الذى تسببه سوف لا يمكن علاجه حتى لو توفرت الأم أو من يعوض عنها بعد ذلك ٠

الطفل الوحيد .. مشكلة
« ١ »

● للطفل الوحيد موقع خاص فى العائلة ككل ومن قبل والديه بصورة خاصة ويحدث هذا الموقف كثيرا من المفارقات . ففى الغالب يكون هذا الطفل لأم قد واجهت كثيرا من الصعوبات قبل أن تحمل به وقد مر الوالدان بأيام عصيبة فى مراجعات الأطباء وترقب الأمل فى أن يحدث الحمل فى يوم من الأيام وغالبا ما يكون الوالدان قد قربا أو جاوزا الأربعين عندما يولد الطفل وقد يؤثر ذلك على نوعية الاتصال والعلاقة بين الطفل والأبوين فى السنين الأولى للنمو يفتقد الطفل فائدة التنافس والمزاحمة التى تحدث طبيعيا بين الاخوة والأخوات والتى بالرغم من مشاكلها الاعتيادية والصعوبات التربوية التى تسببها فان لها فائدة كبيرة فى تعلم الطفل الصيغة التنافسية فى الحياة وبدلا من

ذلك فان الطفل الوحيد قد يرى أبويه بمنظار الاخوة مما يؤدى الى بعض الاختلاطات النفسية اذ قد يحاول الطفل بذلك تعويض الاخوة بالوالدين والذى ينكره واقع الحال وبهذا يجد الطفل انه فى حالة تنافس مع عمالقة من وجهة نظره هذا بالاضافة الى أن هذا الطفل كثيرا ما يكون فى حالة صراع دائم حول ما يحدث بين أبويه فهو يرى أن كلا منهما ينافس الآخر كسبا لحبه واهتمامه مما يؤدى الى خلق نوع من الشعور بالعظمة الكاذبة لدى الطفل بالاضافة الى الغرور وعدم المقدرة على تحمل المسؤولية فى الكبر ، مما يؤدى الى ضعف بالطفل الوحيد فى الحياة العملية اذ لم تتوفر له فرص تعلم المشاركة ومراعاة الغير مما يجعله يميل نحو العزلة عدم المقدرة على القيام بالأعمال التى تتطلب تنسيقا مع الآخرين ، وبالتالى يميلون نحو اتجاه سلبى مع الآخرين يتميز بقسوة خفية ومحاولة للسيطرة والتغلب وكثيرا ما يكون هذا الطفل فى الكبر أكثر تسلطا وميلا الى الغيرة مع الآخرين وتصرفاته أكثر أنانية ولعدم وجود شريك آخر فى اهتمام الوالدين • ومن طرف آخر فعدم وجود أخ أو أخت تشاركه المسؤولية واللوم من

قبل الوالدين يجعل هذا الطفل يميل دوما الى البحث عن الاكتمال فى نفسه ويكون حساسا لدرجة كبيرة لأى انتقاد ٠

ومن صفاته أيضا أن يكون منتظما جدا فى سلوكه وتصرفاته وعلى درجة كبيرة من النظام والترتيب وكل وظائفه يؤديها باتقان عال ووعى تام ، ووجود طفل واحد فى أسرة تجعله المركز الوحيد لكل الاهتمام والقلق فهو المصدر الوحيد لبقاء اسم الأب بعد الموت وهو المصدر الوحيد للشعور بالأمان والطمأنينة لدى الوالدين عند الكبر وكل آمال وأماني والديه تنصب عليه هو وحده ٠

كل ذلك يجعل من والديه وبغير قصد منهما يدخلان فى كل صغيرة وكبيرة فى حياته وخصوصا لو كان هذا الطفل لوالدين كبيرين نسبيا فى العمر وقد رزقهم الله به بعد طول انتظار وعذاب سنين ، مثل هذا الطفل لا يستبعد أن يختنق بالحب ويقتل بالاهتمام والحنان ، ليس من قبل والديه فقط ولكن أحيانا من قبل جديه أو أقربائه الآخرين ٠

إن أم الطفل الوحيد تكون أكثر اهتماما به وحبا له اذا كان الطفل ولدا عما لو كان بنتا ، هـذا بغض النظر عن واقع الطفل الاجتماعى أو الحضـارى سـواء كان ذلك فى بلاد أوربية أو عربية ، ثم ان تدليل الطفل الذكر غالبـا ما تفيض عليـه صبغة أنثوية والعـكس صحيح ·

وإذا كانت أنثى فان الأم تعاملها معاملة فيها نوع من الخشونة وتجعل البنت أقل ميلا الى الأنوثة عند الكبر وبذلك تجعل من الأنثى امرأة أكثر ميلا الى الخشـونة والعنف ومن الذكر رجلا أقل احتراما وأكثر قلقا وقد تؤدى هذه المعـاملة فى بعض الأحيـان الى اتجـاهات مضطربة من الناحية الجنسية عندما يصل الطفل سن البلوغ من هذا نرى ان الطفلة الوحيدة تنشأ أكثر قوة وشدة على مجابهة شؤون الحياة معتمدة على نفسها بكل صغيرة وكبيرة ·

وفى حالات نادرة يأتى الطفـل بعـد أن يكـون والداه قد عاشا حياة طويلة بدون أطفال فيرزقهما الله بطفل وهما غير مستعدين بالفعل لا من الناحية النفسية ولا من الناحية الاجتماعية فيمتزج عنـدهما الشـعور بالفـرحة مع الشعور بالاحبـاط تجعلهما فى وضـع

نفسى خاص ينعكس على الطفل مما يجعله غير مستقر نفسيا وأكثر تعرضا لحالات الاكتئاب النفسى وربما نجح منهجيا فى حياته متسما بالتضحية ومحاولة ارضاء الآخرين تفاديا لأية نقد أو تحميل جميل محاولا دائما أن يكون على الحياد فى جميع المواقف حتى على حساب شعوره الخاص وأحاسيسه المكبوتة وبذلك يظهر بمظهر الصديق لكل شخص ، المبتسم دائما مخفيا عكس ذلك فى قلبه ٠

إن تواجد الطفل بين الكبار لعدم وجود أطفال معه فى البيت يجعله معتادا على التعامل مع الكبار وأقل قابلية أن يتفاهم مع من هم فى عمره وبذلك ينمو عنده الشعور بالمسؤولية والاعتماد والاعتداد بالنفس بوقت مبكر ولكن عدم القدرة على التجاوب مع من فى عمره يجعله أكثر ميلا الى الاعتزال والوحدانية وبذلك نرى ضرورة التشجيع على وجود أطفال آخرين فى المنزل كالأصدقاء والأقارب حتى يعوضوا الطفل مصدرا مهما من مصادر النمو النفسى والنضوج الاجتماعى ألا وهو وجود الأخوة والأخوات ٠

ومن هنا نرى أن مشاكل الطفل الوحيد لا تقف عند مشكلة الدلال الزائد بل تتعداه الى نواح كثيرة ٠

الطفــل الأول

« ٢ »

● كل ما قيل في بحثنا السابق حول الطفل الوحيد يمكن أن يقال عن الطفــل الأول لأنه في فترة ما كان الطفل الوحيد في العائلة في أكثر الأحيان يأتي الطفــل الأول والولدان في مقتبــل عمرهما وشــبابهما ولازال الزواج في مرحلته الخضراء ، التفــاهم بين الــزوجين عــلى أعــلاه وبغض النظــر عن كون الوالدين مازالا قليــلي الخبرة في التربيــة فان الطفــل الأول دائمــا يحظى بأكثر اهتمامات والديه ويبقى هــذا الاهتمــام الخاص مدى العمر على الرغم من وجود أطفال غيره زاد عددهم أم نقص ويكون بذلك بمثابة أمير العائلة الذي يتمتع بمكانة خاصة عند الوالدين ٠

ويكون في موضع احترام من قبل اخوته ويعطى مقام الكبار في سن مبكرة يلبس دائما جديد الثيــاب بينما كثيرا ما يستلم اخوته الأصغر ما يتركه من ثياب

قديمة كل ذلك جدير بأن يعطى هذا الطفــل كثيرا من الاعتزاز والثقة بالنفس والشعور بالأهمية التى ترافقه طوال حياته ، ولا يخفى ما فى ذلك من فوائد نفسـية واجتماعية ، وبهــذا فهــم أكثر من غــيرهم توقا الى النجاح فى الحياة والوصول الى مستويات عالية ولــكن من ناحية أخرى لو كان الوالدان من النوع القلق غــير المستقر فإن الطفل الأكبر ســوف يدفع ثمن ذلك قبــل غيره . إنه سوف يتحمل ويأخذ دورا أشبه بدور الأب أو الأم فى فترة سابقة للأوان ، ولا يعطى الحق بأن يكمل حياة الطفولة أو المراهقة كغيره . فدائما وأبدا كلمــة « عيب أنت الكبير » تصادفه عند أى فترة فيشعر بها فى التخاذل ويسلم نفسه لهوى الطفولة والمراهقة . فهذه الجملة يجب ألا تقال أبدا للطفــل مهما كبر ، وبذلك يتميز الطفل الأول عندما يكبر بسمات وشخصية جادة ذات كبرياء خاص غير قابل للمرونة ولا للفكاهة ، مما يجعله أكثر عرضة للتوتر النفسى والقلق ، ويتعرض أحيانا لبعض الأمراض الجسيمة مثل القرحة وضغط الدم وتصلب الشرايين .

ينمو هذا الطفل عادة وهــو يشــعر بأن الآخرين يعتمدون عليه ويثقون به ويرون أن عليه ألا يخون هذه

الثقة ويكون ذلك أكثر وضوحا عندما يكون الطفل الأول أنثي وخصوصا اذا كانت فى أسرة كبيرة العدد وعادة ما تشغل وظيفة الأم لاخوانها الصغار وفى العائلات الفقيرة فانها تكون ربة منزل وطباخة ٠

وتكبر تلك الفتاة وكلها ثقة وشعورها بأن الغير معتمد عليها الى هذه الدرجة يجعلها تشعر دائما انها على صواب والعالم بأسره خطأ وان عليها اصلاحه ٠

وفى الأسر ذات العدد الكبير من الأطفال وخصوصا ذوات الدخل المحدود يأخذ الولد الأكبر دور حامى العائلة الذى يحمى اخوانه من جميع الظروف التى تكون أقسى مما يتوقع فى بعض الأحيان وهذا ما يقوى من طبيعته الجادة والشعور بالمسؤولية نحو الآخرين ٠

إن الأطفال المولودين أولا يتميزون بدرجة عالية من حب الاستطلاع والمنافسة والثقة بالنفس والنجاح فى الحياة الدراسية ويكونون كذلك كثيرى النشاط ويتمتعون بلسان طلق وقوة تعبير وذلك بسبب الاهتمام الكبير الذى تعطيه الأم لهم فى بداية حياتهم ٠

وأخيرا ينصح علماء النفس بأن الأطفـال البـكر يجب أن يعطوا قدرا أكبر من الحرية فى لعبهم ومرحهم ليأخذوا حقهم من الطفولة • ويجب أن يتعلموا ان هناك أمورا فى الحيـاة أصعب من آن يتعلموها ويأخـذوا مسؤوليتها وخصوصا البنات البكر ●

الطفــل المتوســط

«٣»

● الفريد أدلى أحد تلاميذ العالم النفسى الشــهير فرويد كان أول من أشار الى ظاهرة الطفل الوسط وما يعانيه خصوصا اذا كان أحد ثلاثة اخوة ، وذلك بدون أن تكون له المكانة العاليــة للطفــل الأول ولا الحنــان والعطف خصوصا من الأم الى الطفل الأصغر، فهذا يعطى الطفل الوسط شعورا بكونه مهملا ومتروكا ، وعندما يكون عدد الاخوة أكثر من ثلاثة فأى من الأطفــال بين الأكبر والأصغر معرض أن يكون له نفس الشــعور ، وتكون هذه الظاهرة أكثر وضوحا فى المجتمع الغربى، عندما تكون العائلة متكاملة اذا كانت مكونة من أب وأم وابن وابنة .

هناك ظاهرة متميزة بين الاخوة والأخوات تحدث على الطبيعة وبدون أن يكونوا على وعى وشعور بمــا

يحدث ، تلك الظاهرة هي ما تسمى بتوزيع الوظائف والحدود وذلك بأن هنـاك صفات وخواصـا سلوكيـة ومنهجية تتوزع على الإخوة فهناك الولد الشقى والوالد المطيع وهناك الولد الموهوب وهناك الشاطر والكسول وهكذا ومن هنا نرى أن توزيع هذه الصفات على الأطفال يتم عادة فى أن يأخذ الأخ الأكبر أحد القطبين والأخ الأصغر القطب الثانى كأن يكون الأول هو المطيع الخلوق الجدير بالثقة ويتسم بالجدية بينما يكون الأصغر هـو العنيد الثائر المستقل بشخصيته ، وهكذا يترك الولد الوسط ولا يكون له سـوى أن يكـون خليطا من هـذا وذاك وبذلك يكون هو الملام على أخطاء أى من الجانبين، واذا استمر هذا الحال وغالبا ما يكون قد أخذ الطفل الوسط ولا يكون له سـوى أن يكون خليطا من هـذا ألا وهو أن ينسحب ويعتزل بنفسه وبذلك ينهى دوره فى مسرحية العائلة مما يزيد من شعوره بعدم الأهميـة وبأنه طفل زائد عن الحاجة ٠

وعندما يوضع الطفل فى مثل هـذا الموقف فانه سرعان ما يترك حلقة العائلة ويبحث عن علاقاته خارجها فتكون ارتباطاته بالأصدقاء عـلى أشـدها وفى بعض الأحيان يكون هذا الارتباط أشد من علاقاته العائليـة

ويأخذ موضع الصدارة فى حياته ومن هنـا نرى أن ارتباطه بالمدرسة لكونها مجتمعا آخر خارج البيت أكثر عند هذا الطفل من اخوته وبالتـالى احتمـال تفـوقه الدراسي وفي سن مبكرة نرى أن هذا الطفل قد اكتسب شخصية مستقلة معتمدة على النفس كمـا هى بالنسبة للأخ الكبير وبالاضافة الى ذلك فان له علاقاته الاجتماعية الناضجة والمتطورة عن اخوته ومن عيوب هذا الوضـع العائلى انه فى بعض الأحيان يعطى نوعا من عدم الثقة بالآخرين وعلى الرغم من أن هـذا الطفـل يكبر وله قابلية كبيرة على اكتساب ثقـة الآخرين الا انه يكبر ويحس بأنه وحيد لا يسـتطيع الاعتمـاد عـلى حد أو الثقة به ٠

الطفـــل الأصـــغر

« آخر العنقود »

(٤)

لا يخفى أن الطفــل الأصــغر مدلل العــائلة فى الغالب ويبقى دائما الأصغر مهما كبر وبذلك يكون وزيثا لــكثير من الصعوبات ٠ فبينما يكون أخ له قد قاسى من نقص رعاية والديه لاهتمامهم بالمولود الذى بعده ويبقى هو بغير منافس ٠

وفى حالة مثــل حالته عنــدما يكون كل فرد فى العائلة أكبر منه وأعقل منه وأفهم منــه لأنه كان قبله يبقى هو فى موقف التقبل لكل نصيحة وكل ارشاد وكل أوامر ٠٠

ومن هنا يبدأ بأخذ موقف السلبية فكل شىء يأتى من الأعلى جاهزا له وبالتالى يكبر الطفل وهو متكيف فى أن يجعل الآخرين مستعدين لخدمته دون الاعتماد عــلى

نفسه · ولكن كثيرا ما يحدث العكس من ذلك عندما يثور الطفل الأصغر على معاملته كطفل دائما وأصغر واحد مهما كبر ، وبتلك الثورة يبدأ حياة جديدة تتميز بالاستقلال في كل المهمات وعدم الاعتماد على أحد خصوصا من اخوته وعدم تقبله لأية نصيحة أو خدمة وقد يجره ذلك الى الوقوع في تجارب هو في غنى عنها وكثيرا ما يقع في مشاكل اجتماعية كبيرة من جراء ذلك ·

وعلى الرغم مما يناله الطفل الأصغر من العناية فان هناك دائما عائقا لشعوره بعدم الاعتداد بالنفس وأحيانا الشعور بالنقص على الرغم مما يظهره من الاعتداد واللامبالاة ·· وذلك لأن الطفل الأصغر مهما حقق من نجاح في حياته الدراسية أو العملية أو الاجتماعية فانه يكون على الأقل الثاني وليس الأول وذلك لأن اخوته قد سبقوه فاذا دخل المدرسة لأول مرة لا يكون ذلك مدعاة لمناسبة كبيرة عند الوالدين كما كان عندما دخلها أخوه الأول واذا تخرج من مرحلة دراسية لا يكون لنجاحه نفس التأثير على العائلة كما كان بالنسبة لأخيه الأكبر فكل شيء عمله الأخ الأكبر يكون أول حدث في العائلة وبعد ذلك تقل أهميته حتى لو حصل على الدكتوراه ·

ومن ناحية أخرى فإن تكيف الطفل الأصغر على وجود من هو أكبر منه وأفهم منه أعلم منه بصورة دائمة يرسخ بداخله نوعا من الخوف من أن يتحدى لأنه إذا استطاع أن يقوم بما يقوم به الكبار فإن هذا يعنى تحديا لمن هم أكبر منه حتى لو كان قد وصل سن النضوج والرجولة ، وتراه عندما يبدأ عملا سرعان ما يتركه قبل إتمامه ٠

وهناك أكثر من سبب يجعل الطفل الأصغر أكثر عرضة للأمراض النفسية وهناك احصائيات تشير الى أن عدد المصابين بأمراض نفسية حادة كالانفصام والادمان الكحولى وغيره يشكلون عددا كبيرا نسبيا من الأطفال آخر العنقود وأسباب ذلك ترجع بالإضافة إلى ما ذكرنا الى عوامل لا يمكن تلافيها ٠ فالدلال الزائد الذى يخص به الطفل الأصغر يجعله أضعف على تحمل أعباء الحياة هذا بالاضافة إلى إنه يجعل منه متعلقا بأمه وأبيه تعلقا أكثر من باقى إخوته مما يكون له أكبر الأثر فى حالة فقدان أحد الوالدين وغالبا ما يحدث ذلك وأصغر الأبناء لا يزال طفلا ومما يزيد الموضوع تأزما ان الأطفال الصغار غالبا ما يكونون ضحية زواج الأب أو الأم الثانى بعد فقدان أحد الأبوين ، بينما يكون الابن الأكبر قد وصل مرحلة تقارب مرحلة

الرجولة عندما يفقد أحد أبويه فإن أخاه الصغير لازال تحت رحمة أمرأة أخرى أو رجل أخر يأخذ محل أبيــه أو أمه ٠٠ وأخيرا فعلى الرغم من أن ذلك الطفل فى كثير من العائلات يكون قرة العين ولكنه فى غيرها وخصوصا العائلات الفقيرة حدث غير سعيد فقد يكون نتيجة حمل غير متوقع وغير مرغوب فيه وقد ينظر اليه كطفل زائد أو عبء على العائلة وبهذا تكون هناك نتائج سلبية على نفسية هذا الطفل ٠

ماذا يعنى الموت عند الطفل ؟

● كثيرا ما نشاهد ان ولدا فى الثانية عشرة من عمره . كان مستحوذا على الأم بمفرده (والوالد لا يمثل عنده الا دورا صغيرا ــ فى هــذا السن على الأقل ــ) . وفجأة يفقد هذا الوضع فيأتى كائن آخر ويستحوذ على الأم ولا يهم الولد هنا مقدار ما يستحوذه الطفل الصغير من وقت الأم سواء أكان ذلك وقتا قصيرا أو طويلا . فهو يضن على الطفل بأى جزء منه ، ويريد أن يحتفظ به كاملا لنفسه ، اذن على الطفل الصغير أن يذهب ليتخلص من منافسته أما مغزى (الموت) فانه يظل غــير واضــح بالنسبة الى الطفل حتى سن المدرسة ، وربما الى ما بعد ذلك أيضا . والطفل اذا أتيح له أن يتعرف الى المــوت ، فانه لا يفهــم ســوى دلالته ، وهى أن المــوت غيــاب ، وكلما ازداد تعلق الطفل بأمه وازداد شعوره بفقد جزء

من حنانها ورعايتها . ازداد رغبة فى مـوت من يولد بعده من أشقاء . والطفل الصغير لا يفهم هـذه الرغبة على أنها (اجرام) بل العكس يرتاح اليها لأنها تلائم مشاعره .

وكمثال على ذلك . هناك طفل فى السنة الخامسة من عمـره ، مصـاب بالسـعال الديكى وقالت الأم له لا تقترب من أخيك الرضيع لكى لا ينتقل المرض اليه والا مات ولا يبقى لك بعـده أخ صـغير ، وفى الأيام التالية شوهد الطفـل واقفا جانب مهـد آخيـه يسـعل وينفخ فى وجهه . ثم يأتى السؤال الكبير . وهـو أن الأم الحبيبة تعاقب الولد على محاولاته ، والولد كان يهدف الى المزيد من حب الأم ، ولكن ما توصل اليه جاء على العكس من ذلك ، فهو لا يعرف كيف يقـابل هـذا الموقف المبهم فيصبح متحيرا أمامه يائسا ، وهذا الوضع يظل عاملا سلبيا فى علاقته مع الأم ، ومع الأشقاء حتى الى ما بعد عشرين وثلاثين سنة ، فالأشقاء هنا يقفون أمام العضو الطارىء ، الجديد عـلى العـائلة موقفـا عدائيا ، أو موقف التمنيات الطيبة ، وحصول الصراع بين الأشقاء تابع للعواطف فى موقف الأم ، فهو يطور

هذا الصراع الى خصام لا نهاية لهـــا أو ينهيـــه بســـلام وتلاؤم يشمل أفراد العائلة كلها ٠

ولكن من السهل أن يقال ، وسن الصعب أن يطبق! على الأخص بعد حدوث اعتداءات ٠

الغيرة عند الطفل

الغيرة عند الطفل ومعنى الموت عنده وكيفية معالجة الوالدين والأم بالذات فكما ذكرنا أم غير عارفة بالأمور التى تكلمنا عنها تعاقب طفلها البالغ من العمر خمس سنوات عقابا صارما لمحاولته طعن أخيه . وهو يرضع بسيفه الخشبى وقد تسجنه فى الظلمة أو تلزمه النوم مبكرا مانعة عنه طعام العشاء ، وهنا يجلس الطفل فى سجن مشاكله ويهز بقضبانه الحديدية، فيرسخ عنده الكره لأخيه الرضيع الصغير وتسمم العلاقة بين الأشقاء ، وقد يدوم ذلك طيلة العمر .

ذلك لأن المرارة فى تجربة الغيرة تظل رابضة فى نفس الطفل ، وربما الى ما بعد ذلك ، وانسان كهذا يفقد الاقدام والثبات أمام ما يصادف فى مستقبل حياته

من منافسة ولا ينجح فى حياته العمليــة كما يفشــل أيضا فى الحب •

أما فى الحياة العملية فيحاول الشاب ـ والغيرة تملأ مشاعره ـ التغلب على منافسه للتوصل الى وضع أفضل ووظيفة أرقى ، ولفقدان الثقة بنفسه يحــاول طعن الآخرين بوسائل غير مناسبة ، كما بالسيف الخشبى فى أيام طفولته وينذره رئيسه أن المطلوب منه هو العمــل وزيادة الانتاج وليس الغــيرة وأما فى الحب فتحــاول الصبية التى تعانى الغــيرة . أن تقضى عــلى منافســتها بالكلام ، ولو ان منطقها قد يقول لها لا تخافيها لأنه يحبك أنت ولا يحبها هى فلا تجبريه على الدفاع عنهــا وبالرغم من هــذا المنطق تتصرف الفتــاة بتوجيهــات تفرضها عليها رواسب أيام الطفولة اذن كيف نستطيع أن نجابه أخطار هذه الأخطاء التربوية هذا ما يتساءل عنه الآباء والأمهات ، أولا : ليس هناك وصفة شاملة ترضى الجميع لأن كل ولد يختلف عن غيره وله تصرفاته الخاصة ، وكذلك الوضع العائلى ، يختلف أيضــا بين عائلة وأخرى ، فالوصفات هنا يمكن أن تشبه بطلقات نارية تطلق الى الوراء فلا تصيب هدفا ••

وهناك احدى الأمهات عملت بالوصـــفة الآتيـة :
عليك أن تبرهنى لولدك بوضوح انك تحبينه أكثر من أخيه ، فتمهلى الرضيع من حين الى آخر لتزيدى بعنايتك الولد البكر ولكن اتضح ان هذا الأخير لا يمكن اشباعه فهو دائما يطلب المزيد لقد كان يطلب أكثر فأكثر الى آن توصل الى مطالبة أمه باعادة الرضيع الى حيث كان قبل آن جاءت به وفى النهاية لم ترض أحدا من الولدين وتملكت الغيرة كلا منهما اذن ليس ثمة وصـــفة تنفع ، بل هناك تفكير وتدبير : ان للولد البكر مكانة خاصة فى العائلة ، وله الحق أن يخشى من ضياعها وهذه الخشية تسبب له عدم الثقة ، فعلى الوالدين تهيئته قبـــل مجىء الطفل الثانى لتقبل الوضع الجديد فيوحيان اليه « أنه الابن الأكبر الذى سيكون عليه بعد اليوم حقوق أكثر ، وعليه واجبات أكبر تجاه المولود الجديد أيضا » .

ولا يجوز معاقبة الطفل بعد ظهور انفعالات كره عليه ، وعلى الأم أن تظهر تفهما لذلك كأن تقول له : « أنا أعرف لماذا فعلت ذلك ؟ ولكن اذا فعلت بعد الآن شيئا آلمتنى كثيرا » .

ولكن الأهم فى الموضوع : تهيئة الطفـل نفسيا لاستقبال المولود الجديد وذلك باطلاع الأولاد فى سن (١ ـ ٢) سنة على السر قبل موعـد الـولادة ببضـعة أسابيع ، ثم تعرض لهم كيفية طى اللفائف وتهيئة المهد، وترتيب لوازم المولود المرتقب ، ولا يمكن عمـل شىء أكثر من ذلك فى مثل هذا السن الطفولى المبكر .

عصر الطفـــل

● طبيعى ان تقف الأم مع ولدها موقفـــا مختلطا بشتى المشاعر ، اذ عليها أن تستيقظ مثلا ثلاث مرات فى الليلة الواحدة لتهدئة صراخ الطفل كما ان جرس المنبه يرن فى الساعة الخامسة صباحا لايقاظها نهائيا. انه موعد الرضاعة • وفى الساعة السابعة يريد الزوج أن يتناول طعام الفطور ويشكو من أن القهوة فى هذه المرة ليست حسنة كما كانت فى المرة السابقة فيصرخ : « أليس عندك ما يشغل رأسك سوى الولد فقط ؟ » •

وقد يفرغ الطفل أثناء الفطور كل ما فى أمعائه فيخرج الزوج غاضبا متقزز النفس ! ولا تكاد تفرغ الأم من تبديل لفائف الطفـــل حتى يعيد نفس المأساة ، من جديد ، ثم نطلب بعد ذلك من الأم ألا تنفجر •

فاذا كتمت الأم مثل هـذا الشعور بالانزعاج ولم يفرج عنها أظهرته الى الوجود فى ظرف آخر • ولا يضير الولد ان تنفجـر الأم من حين الى آخـر للافـراج عن شعورها بالانزعاج ولكن الانفجارات المستمرة تورث الطفـل المـرض • وبالرغم من أن عصرنا الحـالى قد اتصف بأنه « عصر الطفل » فان أحدا من الباحثين لم يهتم فى العشرات الأولى من بدايته ، بدراسة نفسية الطفل ، ولقد كان الوالدان والعلماء يتبنون الزعم ، بأن الطفل فى السنة الأولى من حيـاته غبى ضـعيف الاحساس •

وهو ينمو على الوجه الأفضـل اذا تركت له راحتـه واقتصر فقط على الأعمال الضرورية له . وقد ظهـرت العديد من النظريات حول تحديد «الأعمال الضرورية» هذه وكانت تدور حول الغذاء والملبس والعناية بالجسم واليوم تعرف ان الطفل لا ينمو على الوجه الأفضل اذا تركت له راحته ، انه ينتظر الكثير من المحبة والاطمئنان والثقة ومن المؤسف أن بعض الأفكار القديمة تتطلب الكثير من الوقت لتغييرها وهى أفكار مازالت تتناقلهـا الأمهات عن أمهاتهن جيلا بعد جيل وهكذا ما زلنا حتى يومنا الحاضر نسمع بعض الأمهات الشابات يقلن آنا

أعرف انه لا يجوز تدليل الطفل فى أوائل حياته لذلك ابتعد عنه ولو اننى أجد فى ذلك صـــعوبة ومشــقة فى بعض الأحيان . فيجب أن نعرف أن الشح فى الحب يخلق عند الولد تعطشا للحب الى أن يقتنع فى أحد الأيام بأن عطشه لن يرتوى فينطوى على نفسه داخل قوقعة خيبة الأمل شاعرا بالمرارة والحسرة ويجب أن يشعر كل طفل بأن له أما ولا يطلب اليها أن تضحى بذاتها ولا أن تدع الطفل يستعبدها وليس عليها أيضا أن تحــاول دائمـــا لاكتساب حب الطفل .

فعلى الأم أن تمنح طفلهـــا الحب من كل قلبهـــــا وأن توقفه بالمحبة عند حده اذا احتاج الأمر الى ذلك .

فى بطـن أمـه

هـل للانفعالات النفسية عنـد الأم تأثير عـلى الجنين ؟ •

الحكيمات من النساء يعرفن الجواب الصحيح على هذا السؤال ، فلا يسألن العلم لأنهن يعرفن الجـواب (بالشعور) •

فاذا حدث انفجار سليم العواقب لمـوقد الغـاز فى أحد مساكن احدى المناطق وأصيبت ربة البيت الشابة ، وكانت حاملا فى شهرها السابع بصدمة من باب الموقد فوق رجلها أثارت فيها ذعرا لا حد له ، وجاءت زوجة البواب تسكن من روعها بحنان أموى • وقالت لهـا : لا تعبئى يا صـبية وتابعت تقول سـكنى روعك فان

الطفل بعد فزعك هذا سيولد واحدى يديه سوداء وهي وراء ظهره ولكن الجراحين يستطيعون بترها حالا .

يد سوداء ؟ انها مبالغة من الخرافات !

على أن انفعالات الأم النفسية يمكن أن تؤثر بطرق غير مباشرة على الجنين وهذه الانفعالات تؤدي الى الافراط في افرازات الهرمونات عند الأم ، وهذه تصل بطريقة المشيمة الى دم الجنين وتؤثر على افراز الهرمونات في غدده . ولم نعرف حتى اليوم اذا كان هذا يمكن أن يحدث تغيرات في كينونة الجنين ، والى أي درجة يمكن أن تصل هذه التغيرات ، غير ان العلماء الأمريكيين شاهدوا في دراساتهم ستة أجنة كانوا يركنون الى السكون التام فأصبحوا دائمي الحركة والاضطراب بعد تعرض أمهاتهم لصدمات نفسية وقد ظلوا كذلك حتى الولادة .

ومهما أراد المرء أن يفسر نتائج هذه التجارب يظل الأمر واضحا اذ نعني أن الانفعالات النفسية عند الأم لا تمر دون احداث تأثيرات على الجنين ولكن ليس الى الدرجة البدائية التي تروجها ألسنة الشعب كقولهم مثلا : اذا فزعت الأم الحامل من أرنب فان مولودها

سيأتي بشفة (مشرومة) واذا أكثرت من زيارة المعارض الفنية فان مولودها يأتي شبيها لصورة الملاك الذى رسمه أحد الرسامين ان المتابعين لنظرية التربية قبل الولادة يؤكدون أن بالامكان التأثير على الجنين ايجابيا اذا شغلت الأمهات أثناء الحمل بأشياء ايجابية سارة وحافظن على مزاج متزن . ومن جهة أخرى لا داعي للمزايدات فى التأملات النفسانية .

المرأة فى سن اليأس

● اختلفت أراء الباحثين فيما يتعلق بأعراض هذه المرحلة ، فذهب البعض الى أن لهذه المرحلة أهمية كبرى فى حياة المرأة نظرالما قد يصاحبها من اضطرابات نفسية خطيرة ، بينما ذهب البعض الآخر الى أن الأعراض النفسية المصاحبة لهذا التحول الفسيولوجى ليست بذات بال ، ونحن نعرف ان ما يميز هذه المرحلة فسيولوجيا هو انقطاع الحيض ، وتوقف تكوين البويضات ، وضمور الأعضاء التناسلية ، وظهور أعراض الشيخوخة على باقى أجزاء الجسم .

واذا كان البعض قد أطلق على هذه الفترة من حياة المرأة اسم « المرحلة الحرجة » فذلك لأن للتغيرات الهرمونية التى تطرأ على جسم المرأة آثارا سيكولوجية

تعبر عن ارجاع الأنثى بازاء هذا الانحدار الجسمى أو الانحلال العضوى الذى تتعرض له فيما بين سن ٤٥ و ٥٠ عادة . ونستطيع أن نقول ان لسن اليأس مرحلة تمهيدية تشبه مرحلة ما قبل البلوغ بالنسبة الى دور المراهقة وهذه المرحلة تتميز بحدوث اضطرابات فى العادة الشهرية تجىء مصحوبة ببعض حالات الأرق والحصر النفسى والهبوط النفسى، والظاهر أن المرأة فى هذه المرحلة تدرك العمليات البيولوجية الباطنة قبل أن تفطن الى التغيرات العضوية الخارجية ، وهذه الامارة الباطنة سرعان ما تقترن بادراك العلامات الأولى للشيخوخة ، فيترتب عليها تزايد اهتمام المرأة بشخصها . وهكذا ينشأ لدى المرأة ضرب من الصراع فى سبيل المحافظة على أنوثتها وتبعا لذلك فان نشاط المرأة سرعان ما يتضاعف وقد يتجه هذا النشاط نحو المراكز المهددة بالذات فنرى المرأة تشعر برغبة حادة فى أن تحمل وتعاود تجربة الأمومة التى سبق أن انقطعت عنها منذ سنوات طويلة : وعلى الرغم من كثرة مشاغل المرأة وتعدد واجباتها فى البيت أو خارجه ، بل على الرغم من استغراقها فى مشاكل أبنائها البالغين ، فانها قد تنجب فى هذه الفترة السابقة على سن اليأس طفلا أو طفلين وكأن لسان حالها يقول « لنغتنم الفرصة قبل أن

توصد الأبواب » أما بالنسبة الى النساء اللاتى كن منشغلات بوظيفة التناسل ، منصرفات الى تربية الأولاد والعناية بهم ، فان التعطش الى العمل يتخذ صورة أخرى فنرى المرأة المقبلة على سن اليأس تتجه نحو مشاغل خارجية تخرج بها عن نطاق البيت ، أو قد تعاود الاهتمام بهوايات قديمة كانت قد تخلت عنها قبل الزواج .

وقد يحدث أحيانا أن تفطن المرأة الى ميول قديمة كانت قد اتجهت نحوها فى الفترة السابقة على البلوغ ، فنراها تحاول أن تستعيد ذكرى الميول القديمة ، بأن تعمد مثلا الى عزف مقطوعات موسيقية أو رسم لوحات فنية .. الخ والواقع أن الفترة السابقة على سن اليأس كثيرا ما تقترن لدى المرأة بتجدد الرغبة فى الخلق أو الابداع الفنى ، خصوصا وقد أصبح لدى المرأة بعد نضج أبنائها واستقلالهم عنها متسع من الوقت للتفكير فى تلك المسائل الفنية التى لم تتركها عند الزواج الا على مضض ، ومادام الحبل السرى السيكولوجى الذى كان يربط الأم بالطفل قد انقطع، فلم يعد هناك مايحول بينها وبين الانصراف الى الخلق الفنى الذى هو بمثابة تعويض عن « وظيفة التناسل » وكأن لسان حال المرأة هنا يقول : اذا لم يعد فى وسعى الآن أن أنجب أطفالا

فلا أقل من أن أبحث عن شيء آخر وليس من شك في أن نشاط المرأة في هذه الفترة انما هو بمثابة آلية من آليات الدفاع ، تحاول بمقتضاها أن تستجيب لذلك الموت الجزئي الذي يتهددها باعتبارها خادمة للنوع ، وحينما تشعر المرأة بأنها قد أصبحت على أبواب الشيخوخة ، والشيخوخة أصيل الحياة ، فانها سرعان ما تجد نفسها مضطرة الى محاربة هذا الانحدار بقوة ونشاط ٠

فليس التعطش الى العمل هنا الا بمثابة تعبير عن صراع المرأة ضد الانحلال هذا الى أن اقتراب سن اليأس قد يولد لدى المرأة شيئا من الثورة داخلها فتراها تحاول أن تؤكد بنشاطها انها ليست مجرد خادمة للنوع ، أو مجرد آلة تنتج أطفالا ، دائما هي شخصية حرة تنتج نشاطا عقليا وحياة وجدانية وبالتالي فان الأمومة ليست هي وظيفتها الوحيدة في الحياة !

قد تنجح المرأة عن هذا الطريق في أن تجد مخرجا من كل تلك التعقيدات البيولوجية التي تطرأ عليها في هذه المرحلة الحرجة من مراحل حياتها ٠

من أى نـوع هــو ؟

● ان الآباء لا يستطيعون تربية ولدهم تربية صحيحة قبل أن يتضح لهم أى نوع من الأنواع هو ؟ وما هى نظرة رفاقه اليه وتقديره الذاتى لنفسه ضمن المجتمع ؟ وهذا ما يجعل التعاون فى هذا المضمار ضروريا بين الآباء والمدرسين وهنا ستوضح الشيم النموذجية من الأولاد ، هناك الولد المثالى والنظيف دائما وهو دوما فى المقدمة وغير مستعد أبدا للمسلك السىء وهذا يجعله مقربا من المدرس فقط وليس من الآخرين أيضـا .. والأولاد المثاليون كثيرا ما يعانون من حركة غير اختيارية فى العينين أو الـوجه أو الـكتف ... الخ بالاضافة الى وسواس النظافة وهذا نتيجة لمبالغة الآباء فى التدريب وعدم منح الولد شيئا من الحرية .

وهناك الولد المهرج الذى يضحك الرفاق كلهم ويهزأ بالمدرس ويشوش التدريس وهو طراز يستحق الشفقة لأن المدرس يعتبره مشوشا يرفضه ورفاقه يصمونه بالادعاء والغباء وكثيرا ما يشعر هؤلاء الأولاد انهم غير محترمين ولعل ذلك لافتقادهم المحبة فى العائلة .
وهناك أيضا الولد الذى يستعرض القوة وهو مغبوط من الجميع والأول فى الألعاب الرياضية وفى نفس الوقت حامى الضعفاء والصغار والبنات، يؤدب المعتدين ولكنه أحيانا يكون من المتصلبين ، كما أن هناك الولد البحاثة الذى لا يكتفى بشرح المدرس ويكثر من الأسئلة لأنه يريد معرفة كل شىء ويصبح من المشاغبين اذا وضع المدرس حدا لأسئلته . وهناك الرفيق المساير وهو دائما فى الأوسط فى الدراسة وفى اللعب ويتمتع بعطف الجميع ويخشى التقدم الى المقدمة ويحتاج الى التشجيع من الوالدين ، أما الولد الطبيعي فيختار دائما الشدائد ويجرؤ على الوقوف فى الخط الأمامى ، وهناك ولد المشاجرات الذى لا يود لأحد أن يلعب معه ويهمل ذكره عند تعداد أولاد صفه الدراسى ، وهو دائما الضحية اذا وصل الأمر الى المناقرات ،

وأمثال هذا الولد هم غالبا من الوحيدين، والولدالوحيد يعامل عادة من والديه معاملة خاصة تؤدى به الى هذا

الوضع الذى يسبب له متاعب في الحياة والفشـل فى السعى لاكتساب قيمة ذاتية تؤدى الى النقص والشعور به ، يموه عنه بالتظاهر المفرط اما بعنف الشخصية أو بالملابس الزاهية والأناقة المفرطة فالرجـل الضـعيف يريد هنا أن يمثل دور الرجل القـوى وكل ذلك ليزيد من اهتمام المجتمع بشخصيته ، وفى هذه الحالات يحتاج الأطفال الى « سلطة الكبار » ليكونوا مرجعا لهم ولكن ليس بشكل طغيان أى دكتاتورية ، وهم يحتـاجون الى نظـام فى البيت وفى المدرسـة يتبعونه ويمتثلـون به ولكنهم فى حالات الأزمات النفسية لا يحتاجون الى نظام أو ضرب أو تربية بل الى الحب والتفاهم ..

الكذب

طلب منه والده أن يرد على السائل عنه هاتفيا ليخبره بأنه غير موجود ، هذا الطفل يدرك تماما أنه كذب وأنه مدفوع لهذا الكذب بمثله الأعلى (الوالد) مما يوقعه فريسة صراع نفسي عنيف وصدمة في شخيصية والد ، بالاضافة الى ولع الأطفال بتقليد مثلهم الأعلى والاقتداء به ٠

وبالنسبة لأخطر أنواع الكذب ، فلكل لون من ألوان الكذب علاج اذا تداركناه في حينه ويمكن التخلص والشفاء منه تماما غير أن هناك نوعا من الكذب ويعد من أخطر الأنواع وهو الكذب المزمن والكذب اذا لم يعالج من البداية فانه يتحول الى النوع الخطير وهنا يصبح الكذب ظاهرة مرضية يكون الطفل مدفوعا اليه لا اراديا يعود اليه كلما أقلع عنه ، فالتكرار

والاستمرارية من أبرز خصائص هذا اللون من الكذب وهو يتعمق متغلغلا متمكنا من الأطفال الفاشلين دراسيا أكثر من غيرهم ويلازمه شعورهم بالنقص واجتماع هذين العاملين يدفع الطفل لمزيد من الكذب وظهور أعراض أخرى كالسرقة والغش في الدراسة رغبة في تحقيق النجاح المحروم منه بأى وسيلة •
ومجمل القول أنه لعلاج ظاهرة الكذب عند الأطفال علينا بادىء ذى بدء تقبل الكذب بشىء من الهدوء والتروى وبحث الدوافع التى أدت اليه ومعرفة نوعيته حتى تتيح لأنفسنا الفرصة لمعرفة الحاجات النفسية الحقيقية للطفل والعمل على اشباعها بطرق تربوية سليمة بادئين العلاج بالبيئة المحيطة بالطفل فهى بمثابة المناخ الذى ينمو فيه فما الأطفال الا بذورا فى أرض اما طيبة واما غير صالحة يستقى منها كل مقومات نموه وتطوره فاذا ما صلحت التربة صلح النبت وسلم من كل آفة مرضية ، ومن الخطأ الشائع اعتبار الكذب صبغة فطرية أو سلوكا متوارثا يولد به الطفل ، فالكذب كغيره من الصفات التى يتعلمها الطفل ويكتسبها من البيئة المحيطة به وهى المسئولة أولا وأخيرا عن اتسام الطفل بأى سمة من السمات المكتسبة سواء كانت سوية أو مرضية •

شعورهم بوجودهم

● متى يشعر الأطفال للمرة الأولى بوجود أطفال غيرهم؟

الطفل الرضيع فى الشهر السادس يصاب بعدوى الصراخ عندما يصرخ طفل آخر غيره • والطفـل فى نهاية السنة الأولى يتأمل طفلا آخر بارتياب لمدة قصيرة ثم يدير له ظهره ، واذا حاول طفل آخر اللعب معـه صدمه بشدة وامتنع عن اللعب معه ، والطفل فى السنة الثانيـة يهـرب عادة ليلتجىء الى أمه اذا حاول طفـل آخر التقرب منه ، ولكن فى هذه السن من النـادر أن يهاجم الطفل ، ولكنه فى الغالب يراقب الشىء عن كثب وفوق كـومة الـرمل يلعب الى جانب قرين له وربمـا يتحدث اليه بكلمات قليلة فقط ، ولكن من النادر أن

يشتركا معا فى اللعب ، والطفل فى السنة الثانية لا يعرف مبدأ (اعط ثم خذ) والطفل فى السن (٢ ـ ٣) من الطبيعى تماما أن لا يكون اجتماعيا فاذا أجبر على ذلك بأن يكلف مثلا باللعب مع غيره تثبط عزيمته ٠ ومثال ذلك ، طفل فى الثانية والنصف من عمره يلعب مع الأطفال وبعد دقائق عاد الى والدته التى كانت تجلس فى نفس الملعب وقال لها : لا أريد أن ألعب بعد ، ولم يقل لها ان أولادا آخرين أقلقوه عند اللعب أو أن أحدا استولى على احدى اللعب التى كان يلعب بها أو أن طفلا آخر غليظ ولم يسر له ، وكان فى اعتقاده ان الأم لابد أن تكون قد لاحظت ذلك منذ البداية ٠

ولكن الأم أرادت أن تجلس بهدوء ، فقالت له دعنى وانظر كيف أن الأولاد كلهم يلعبون بسرور ، ثم أجبرته على العودة للعب ٠

فهذا يعنى له أن جميع الأولاد ممتازون وهو الفاشل الوحيد بينهم ، والأم هنا تزعم أنها باجبارها على العودة منحت نفسها شيئا من الراحة ولكن راحتها ستكون أكبر لو تركت ابنها متفردا بجانبها ، أو انها

ساعدته على خلق صلة اجتماعية مع باقى الأولاد وعلماء النفس يريدون مساعدة الأهل فيوصونهم بالاعتـــدال فى تربية الطفل وعدم اجباره على سلوك لا يتناسب مع درجة نضوجه ، ويقولون للآباء اصغوا بدون تحيز الى ما يجول فى نفسية أطفالكم فترتاحون ٠

حب الأم

(والإفراط فيه)

حب الأم تعبير جميل يفهمه كل الناس ، ولكنه يثير فى كل واحد منا مشاعر وذكريات تختلف عما يثيرها عند الآخرين ، فالبعض من الناس عاش حب الأم بافراط والبعض يتهم أمه سرا وعلانية انها لم تذقه الا القليل منه • ان الشح فى حب الام مضر ونحن نعرف ذلك وفقدانه يؤدى الى انحرافات كثيرة وخطيرة فى نشوء الولد ونموه •

وهنا سنأخذ مثالا على حب الأم المفرط الذى يعود على الطفل بالتعب وكثيرا ما يؤدى الى الضرر •

فهناك موقف من المواقف كثيرا ما نشاهده فى حياتنا اليومية •

دعونى أروى لكم قصة أم ، أم ليست وحيدة من نوعها تقول : منذ ولادتى أصبحت عبدة لولدى ، هـذا ما قالته ، ثم تستمر بروايتها بكل فخر واعتزاز وتقول أعرف الكثير من الأمهات ليس بينهن وبين أولادهن ما بينى وبين ابنى من حب ان ولدى فى التاسعة من عمره اليوم ومازال يشعر باليأس اذا اضطر لمفارقتى حاولت أن أراقب هذه الأم عند مرافقتها لولدها لايصاله الى سـيارة تقله الى المدرسة مع كثير من زملائه ، رأيتـه حقا ولدا باهت اللون ، وبينما كان باقى الأولاد يثيرون الصخب ويتعاركون حول توزيع مقـاعد السـيارة ، كانت هذه الأم تفتش بنفسها عن مقعد مناسب له داخل السيارة يجب الا يكون المقعد فى المؤخرة لكى لا يصاب الولد بالدوار ، والا يكون فى المقدمة احتسابا للحوادث الممكنة ، ولا يجب أن يكون بجانبه ولد شرس ، فجلس الولد فى مقعده وهو متخوف مكبـوت وليس عنـده أى استعداد للاتصال بأى من رفاقه ، وسـند رأسـه عـلى نافذة سيارة المدرسة الزجاجية ، وعمل بالأوامر التى تلقاها من الأم لا تجرى لا تلعب كثيرا الخ • رجع الولد وهو باهت مكتئب احتضنته الأم فلم تجد منه تجـاوبا فقد قضى يومه وحيدا وأحس بغربة فى نفسـه ونحن نعرف البقية •

الخوف لا يربى بشرا

العفاريت ، الأشباح ، وغيرها ، تخيف بهـا الأم طفلها منذ عامه الأول ولم هـذا كله ؟ انه قسم لتأمين راحتها ، وقسم آخر لحبها بلا وعى ، وقسم آخـر تظن انه لتربيتـه فمن المبهج للأم فى كثير من الأحيـان أن يلتصق طفلهـا الخائف بجسـمها وكأنه لا ملاذ له من الخوف سواها ، فتقول ، لا تتكلم بمثل هذه الحماقات انك ثرثار سوف أصفعك اذا لم تتـوقف عن ثرثرتك هذه ، سألقى بك من النافذة وان لم يحدث هـذا ففى هذه النبرات ، استعراض لجبروت الكبـار وسـوء استعمال لاحترام الأولاد الطبيعى لوالديهم ٠

والطفل هنا يسمع فى كل كلمـة اهانة من أفظع أنواع التهديد ، كأن يقال له ، اذا لم تفعل ما آمرك به

ولم ترتدع عما أمنعك عنه حرمتك من محبتي وفصلت نفسي عنك ، فالخـوف هنـا من خســارة الحب ، ومن الانفصال عن الشخص المحبوب مقيم دائما في نفس الطفل ، والذي يستغل هذا الخوف ويعظمه يحظى بنجاح مؤقت ولكنه لا يربي بشرا مستقلين بل بشرا توابع ·

البنت فى العائلة

اذا حاولنا أن نستقرىء تاريخ المجتمعات ، فاننا سنجد أن مركز البنت فى الأسرة هو منذ البداية مركز ضعيف ، فنحن نعرف مثلا كيف كان وأد البنات عند العرب فى الجاهلية نظاما اجتماعيا متبعا اذ كانت تحفر بجانب الموضع الذى اختير لولادة الأم حفرة عميقة ، فاذا ظهر أن المولود أنثى قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة فى هذه الحفرة ، وهذه أشياء نعرفها جميعا ونعرف أن الاسلام بعد مجيئه قضى على هذه العادات .

ولكن نلاحظ أن الأسرة حتى فى أيامنا هذه ترحب بمقدم الولد خصوصا اذا كان أول وليد لها، بينما تلقى البنت شيئا غير قليل من سوء الترحيب أو عدم الاكتراث أو الشعور بخيبة الأمل ! ومثل هذا الموقف من جانب

الأسرة قد يعلل بأسباب كثيرة لأن الوالدين قد ينتظران الوريث الشرعى أو قد يشعران بأن الولد أقدر من البنت على تخليد اسم العائلة ، أوهما قد يضيقان ذرعا بتلك الابنة التي سيكون عليها أن تشق طريقها بصعوبة فى مجتمع لم تستقر فيه الأوضاع الاجتماعية ، أوهما قد يعلمان علم اليقين بأن الولد أقدر من البنت على مساعدة أهله ومواصلة حرفة أبيه .. الى آخر تلك الأسباب الاجتماعية والاقتصادية المعروفة .

وقد تتقهقر مثل هذه الأسباب فى المجتمعات الحديثة ولكن ثمة عوامل خفية لا شعورية تظل تعمل عملها فى صميم تلك المجتمعات ، وآية ذلك أن الأم تكون قد استعدت لاستقبال مولود ذكر فاذا بها تفاجأ بأنثى تكون أبعد عن الترحيب بمقدمها . وقد تظن أن هذا الجو النفسى الذى تلقاه البنت لأول مرة سرعان ما يزول وتمحى كل آثاره ، ولكن فى الواقع انه كثيرا ما تعلق آثاره بنفس الأم ، فلا تلبث الطفلة الصغيرة أن تشعر بأنها تحيا فى جو عائلى غير مستحب وقد ذهب بعض علماء التحليل النفسى الى أن موقف الطفل أو الطفلة من الأم هو الى حد كبير وليد طريقتها فى معاملته أو معاملتها لأن لدى الطفل أو

الطفلة حساسية مرهفة نحو الأم ، حتى ابان الأشــهر الأولى للرضاعة ، وليس من شك فى أن نشأة البنت فى جو تشعر فيه بأنها شيء غير مرغوب فيه ، سرعان ما تتجلى آثاره بوضوح فى كل مظاهر سلوكها خصوصا اذا كان مركز الأم في الأسرة ضعيفا لا تحسد عليه ٠

لا تذنبى بحقهـا

كثير من الأمهات اللاتى يجلسن مع بناتهن الصغيرات أو المراهقات ولا يحلو لهن التـكلم عن شـقائهن مـع أزواجهن من الرجال الا أمام بناتهن فتشكين من الزوج ومشاكله ومعاناتهن معه ومتاعب الزواج ·

فتقول الأم لابنتها : ــ احترسى من الرجال فهـم وحوش مفترسة لا تتزوجى اذا كبرت ، احملى شهادتك فستكون سندا لك فتكبر البنت ويدور فى داخلها صراع وتنظر الى الزواج بأنه الشـقاء والمعاناة وتضـع أمام عينيها الفشل فى حياتها الزوجية وبالفعـل الـكثيرات عانين فى هذه المشكلة فتتزوج الابنة ثم ترجع ــ بعد أن يفشل زواجها ــ الى أهلها ·

والكثيرات منهن ينظرن الى جميع الرجال كأنهم وحوش مفترسة وعندما تجد الفتاة رجلا يتظاهر بالطهر والمعاملة الطيبة تعتقد أنه غير الرجال جميعا فكثيرا ما تكون ضحية سهلة له لأنها توسمت فيه الطيبة ..
عزيزتى الأم من حقك أن ترعى ابنتك ولكن لا تزرعى داخلها الخوف وتجعليها تقف على عتبة الفشل قبل الدخول هناك أساليب كثيرة لتوعيتها ، وعليك أن تفهميها أن هناك الحسن والسيء ولا تجعليها بأسلوبك تفشل فى حياتها ان من حقك حمايتها ولكن لا تذنبى بحقها .

لا تجبريه على حبه

ما يقوله علماء النفس ، بأن الشعور بالأمومة يتولد مسبقا أثناء الحمل عند بعض الأمهات ، فالأمر عندهن أسهل مما عليه عند الآباء • وعلى الآباء أن يتعرفوا على الحب الأبوى قبل أن يتمكنوا من الشعور به وعلى الأخص الشباب من الآباء الذين يرزقون بأول ولد لهم •

فاهتمام الرجل الأول منصرف الى مهنته ، لأن الرجال مرتبطون ارتباطا وثيقا بعالمهم الخاص ولا يستطيعون الالتفات منذ البداية بحنان الى العضو الجديد فى العائلة كما ترغب الأمهات وكما يتوقعن •

وعلى الأمهات ألا يجبرن الآباء على حب المولود لأن هذا فى النهاية مضر للمولود ذاته ، وعلى الآباء من

جهة أخرى أن يظلوا صادقين مع تطـور مشـاعرهم ، فالرجال فى الأساس لا يستقبلون المولود بحماس المرأة وبهجـة مشـاعرها ، وأيضـا لا يجـدون مداعبـة كاريكاتورية فى حركات الطفل ولا حركات صامتة فى تلعثماته ، وهذا كله يثير عندهم النرفزة واذا أظهـر الرجل امتعاضاته لأمته زوجته وعنفته وقالت له (يا لك من انسان بارد الشعور) فاذا أخفى الرجل امتعاضـه ومثل دور الأب الحنـون تعـكر أحيانا مزاج الأم .. وتكون النتيجة أزمة فى الحياة العائليـة ، وهنا يحس الطفل بالتوتر الحاصل بين الأبوين ويستطيع أن يقيس درجته . وهذان الوالدان يقعان فى خطأ عندما يناقشان المشاكل التى تنشب بينهما وكذلك مشـاكل التربيـة بجانب سرير طفلهما ، ودون أن يصرخ أحدهما بوجه الآخر ويتناقشان بهدوء ، والطفل هنا لا يفهم كلمـة واحدة من كلماتهما المتبادلة ولكن هنـاك غريزة يفهم منها أن هناك شجارا وارتباكا والارتباك يسبب فقدان الثقة وهذه تؤدى الى الاضطراب ولهذا يصرخ الولد .

أول صرخة لماذا ؟

وبانتفاضات متتالية بالرجلين واليدين الصغيرتين يزفر المولود هواء أول شهيق فيخـرج الهـواء من بين الحبلين الصـوتيين المتوترين فى الحنجرة • ويصرخ المولود أول صرخاته التى تعيد له راحة أعصابه وتسعد الأم فى آن واحد ، اذ تطمئن ان مولودها حى ! والعلماء لا زالوا يتجادلون حول كنه الصرخة الأولى للمولود • فبعضهم يريد أن يعتبرها صرخة ضيق وغيظ والبعض الآخر يرى فيها الانتصار بعد الغضب لمـا انتـابه من صدمات أثناء الطلق ، وخشونة أثناء الخروج الى الوجود وخوف عند اجتياز قنال الوضع المظلم وما تعرض له من أنوار ساطعة وضوضاء وبرد ، ومن الأيدى البشرية التى تمسك به •

وبعضهم يرى فيها صرخة التهليل والابتهاج لتمكنه من اجتياز بوابة الحياة على كل يقول أحد العلماء النفسانيين : ان الصرخة الأولى مدلول بيولوجي كبير انها نداء لطلب المعونة من الراشدين الذين لولا معاونتهم وعنايتهم لقضى على المولود بعد وقت قصير من ولادته • ومن النادر أن تهتم الأمهات بمثل هذه الأمور بعد الاستجمام الروحي من اجهاد الوضع •

فالابتهاج والراحة بعد التعب أعظم عندهن من التعطش الى المعرفة ولكن على كل أم تريد تفهم طفلها وتربيته والعناية به على الوجه الصحيح أن تتعرف الى ميكانيكية جسمه ونفسه في الدقائق الأولى من حياته ، فلنتفق اذن على أن المولود فى صرختـه الأولى يطلب النجدة من الراشدين أى أن صرختـه الأولى تعنى : ساعدونى ، دفونى ، غذونى •

ان المولود البشرى عند مولده كائن حي لا حول له ولا قوة ، فاذا تخلت الأم عن مولودها وهو على هذه الحالة قضى عليه قضاء محزنا •

ثورة طفلك لماذا ؟

● ربما طرح هذا الموضوع بكثرة عن حليب الآم وارضاعها لطفلها ، ولكن سنحاول هنا طرحه بطريقة مبسطة ونوضحها كما يراها علم النفس عند الطفل الرضيع .

التقدم الصناعى فى عصرنا والبرادات ، وزيادة الدخل الفردى ، يسرت لأكثر الناس الحصول على الغذاء الصناعى ، فبينما كانت الأمهات فى السابق يرضعن أطفالهن ، فأصبحت الكثير من الأمهات اليوم يفضلن تغذيتهم صناعيا ، ولكن كما نعرف ان العلم أثبت أن النمو عند الأطفال الذين يتغذون بحليب الأم أفضل بكثير من مثيله عند الأطفال الذين يتغذون صناعيا ، كما أن نتائج الولادة على أعضاء الأم

المرضع تزول وتعود الى حالتها الطبيعيــة بسرعة أكثر منها عند الأم التى لا ترضع ، والطفل هنا لا يستطيع الكلام ليقول لنا ما يعجبه وما لا يعجبه ، وهو يستطيع فقط أن يعبر عما يبهجه وعمــا يغضــبه بحــركات واشارات طبيعية عديدة ، ولكن كثيرا ما يساء فهمها وتأويلها ، ومما لا شك فيه ان هناك « أمهات مثاليات » من هذه الناحية يتحسسن مزاج الطفل وبتفهمنه ، ولكن هناك العديد من الأمهات اللواتى لا يفهمن «لغة الطفل» فيبدلن ملابسه ولفافاته وهو يصرخ من الجوع ، أو يرضعنه وهو يصرخ من رطوبة لفائفه فيثور عليهن ، فاذا أعطت هؤلاء الأمهات أطفالهن الثدى فى أوقات وظروف خاطئة فمن الممكن أن يمتنع الطفل ويرفض الغذاء ، فتستنتج الأم من ذلك خطأ أن طفلها أصــبح لا يرغب فى الثدى ، فتعمدالى تغذيته من الزجاج وتكون النتيجة الحتمية لذلك أن يجف ثدى الأم ويتوقف عن افراز اللبن لفقدان الاثارة للافراز ، وكذلك الطفــل يجد سهولة فى مص الزجاجة المطاة فلا يعود الى الرضاعة الشاقة من ثدى الأم ، وسوء التفاهم قد يؤدى فى بعض الحالات الى مأساة بالنسبة لما ستلد الأم بعــد ذلك من أولاد ، اذ تقرر مقدما حرمانهم من الرضاعة من ثديها ، ونحن نعرف ان الرضــاعة من ثدى الأم ليست عمليــة

ميكانيكية محضة بل ان لها منــذ اليــوم الأول فعالية نفسية على الطفل وليس المعول فى هذا الصدد على حليب الأم نفسه فحسب ، كى يستوى اعطاؤه بالزجاجة مــع رضاعته من ثدى الأم ، بل المعــول فى كيفيــة اعطائه للطفل أيضا ٠

مرحة أنا .. ولست سعيدة

حين نرى امرأة مرحة فكثيرا ما نقول عنها انهـا امرأة سعيدة حقا ولكن غالبا ما يكون العكس وعندما نرى امرأة غير مرحة فنقول انها غير سـعيدة فالمـرأة السعيدة ليس شرطا أن تكون مرحة فهناك فرق كبير بين السعادة والمرح وليسا قاعدة أن تكون السعادة ملازمة للمرح والمرح ملازم للسـعادة ، ان المرأة السعيدة هى المرأة التى تقتنع بحياتها أيا كانت وتقتنع فى قرارة نفسها أنها ملكت كل ما تريده ، فهنـاك امرأة غنيـة سعادتها المال وهناك امرأة تربى أطفالا فسعادتها تربية الأطفال الأمومة ، وهنـاك أخـرى متعلمة سـعادتها علمها ، فلا يوجد هناك منظار نرى به مقياسا للسعادة فالسعادة تختلف من انسان لآخر وكل يراها بعين تخصه أو بمنظار مختلف فالمرأة السعيدة هى التى تقتنع بما

هى به وتشعر انها ملكت كل ما تصبو اليه ولا ينقصها شىء ، اذن فالسعادة هى نفسها السـعادة أيا كانت وفى أية نفس ولكن المنظور اليها مختلف فكل يراها بطريقته الخاصة وليس شرطا أن تكون المرأة السعيدة انسـانة مرحة فالسعادة شىء استطاع الانسان من خلاله أن يحقق ما يصبو اليه والمرح طبع من طباع الانسان ٠

والمرأة المرحة هى التى تعلمت كيف تعالج همومها وتحاول التغلب عليها بروح المرح وأحيانا روح النكتة تحاول اقناع نفسها بأنها راضية عن حياتهـا ، تعيش على أمل تنتظره مع السعادة ، وكثيرا ما تشعر بأن هذا لا يتحقق ولكنها تعزى نفسها وتقتنع بحياتها كما هى ٠

الفعاليـة الشافيـة
فى ألعاب الأطفـال

● لنضع أنفسنا فى عالم أطفالنا : ففى مخيلتهم تتبدل الأشـياء دون حاجة لفترة انتقـال ، والزمان والمكان يكـون عنـدهم وحـدة ، وهم يعبرون آلاف الكيلومترات فى لحظة واحدة ، ولنراقب طفلا فى الثالثة من عمره أثناء اللعب لنرى كيف انه يصنع من قطعـة خشب واحدة أميرة ، ثم بعد دقيقتين من ذلك أميرا ، وبعد برهة قصيرة يجعلها أطفالا ثم عربة للعروسـين ، أو مركبا بحريا للملاحة · وكثير من العلماء يقسمون ألعاب الأطفال حتى السنة الثالثـة من العمر الى ثلاثة أصناف وهى الأنسنة ــ أى اعطاء الشىء صفة الانسان، فالأطفال يتحدثون الى أشياء لا حياة فيها « جماد » كما لو انهم يتحدثون الى انسان والصنف الثـانى ، ألعاب خيلات تحول الأشياء باستمرار إلى أشياء أخرى وتقبلها ،

والصنف الثالث تمثيل صوري لأشياء بسيطة من الحوادث اليومية في الحياة كاطفاء نار لا وجود لها ، ولكن ألعاب الأطفال تتبدل بعد السنة الثالثة . اذ يقف الطفل الآن في مركز عالم التخيلات ، ففي السابق تبدلت الأشياء أما الآن فان الولد نفسه يتبدل ، اذ يخلق لنفسه في ألعاب دراماتيكية معقدة أدوارا من رغبات يرفض تحقيقها له عالم الكبار ، وبذلك يجعل الطفل من نفسه المسيطر على الوضع فبينما كان يشعر أنه « دمية » في يد الكبار أصبح الآن يعمل بنفسه ، وبعض الآباء يغضبون عندما يمسكون أولادهم فجأة وهم يلعبون لعبة الأم والأب ، فيجعلون قطعة من الخشب تمثل الولد ، والذي يمثل الأب من الأخوين يقسو بالضرب على الولد كما أن الذي يمثل الأم منهما يقسو على الولد بسوء المعاملة والشتم، والأب والأم الحقيقيان يقفان متعجبين أمام هذه المشاهد ، خصوصا وانهما لم يسبق لهما ان عاملا طفليهما بغير الحب والرقة والحنان ، فما هو الدافع للولدين الى تشويه صورة الحياة العائلية في لعبهما ؟

في الواقع ان الأولاد يسلكون أحيانا كثيرة سلوكا معكوسا تماما لسلوك الوالدين وهذا أمر لا يقبل الشك

أبدا ، وتحكى بهذا الصدد عالمة نفسانية قصة أخوين كلاهما يبول في الفراش ليلا ، كانا يلعبان لعبة الأب والأم ، ودار بينهما الحوار الآتى « اننى لا أسمح بمخاطبتى بهذه اللهجة » لا تصرح فى وجهى ومن منا الذى يصرخ بوجه الآخر ، تفضل اذا أردت وطلقنى • وبعد ذلك حضر والدا الطفلين واعترفا أنهما تجادلا أمام أطفالهما بنفس هذا الكلام وتفهما مقدار ما أحدثاه من أضرار ، وفى نفوس الأطفال تضج مجموعة من المخاوف التى لا يتحتم أن تكون مطابقة للواقع فقد يكون الأب ظالما والأم رافضة للولد وقد يدخل الذئب ليلا الى غرفة الأولاد الى غير هذا من التخيلات المخيفة لهذا فان الألعاب الغريبة عن الواقع الحقيقى التى يمارسها الولد يمكن أن تكون له بمثابة سياج حماية من المخاوف الداخلية ، وهناك سبب آخر لضرورة مثل هذه الألعاب وهو أن الطفل فى تفكيره يرمز بالدمية فى اللعب الى نفسه •

وهذه الدمية الولد تعاقب فى اللعب بشدة لأن للولد الحقيقى أفكارا سيئة تجاه والده •

العناد سلاح الطفل

ان الآباء يواجهون فى مرحلة العناد عند الطفل مسألة استعمال العقاب ويجاوبون على عناده بالغضب فيكونون قد زادوا على أنفسهم صعوبة تربية طفلهم فى المستقبل اذ يشعر الطفل بعد بضع تجارب أن عناده وسيلة ناجحة لاثارة الغضب فيستغله سلاحا ناجحا فى مصارعاته فى المستقبل .

والموقف الصحيح للآباء تجاه عناد الطفل هو موقف الهدوء التام ليتركوا الطفل وحيدا فى غضبه وثورته بعد افهامه بالكلام أو بدون الكلام أنه الآن فى حالة غضب سيئة ، وأنهما يريدان مساعدته ولكن بعد عودة الهدوء اليه ، يقولان له : « اذا جئتنا بعد ذلك سترى أذرعتنا مفتوحة لضمك فعد الينا اذا هدأت ، ولا تخجل

مما حدث منك ٠٠ ولا تفزعوا اذا أصر طفلكم مرة على الاستمرار فى عناده وثورته ٠

سنأخذ موقفا من مواقف العناد عند الطفل نلاحظه فى كثير من الأحيان ، فكيف نتصرف مع هذا الموقف ؟

أثناء جلوس الطفل الى مائدة الطعام ، كثيرا ما يخرج ويترك طعامه وعلينا أن نتركه لوحده حتى يتبخر عنه عناده ، وبعد نصف ساعة يعود الى المائدة من تلقاء نفسه فيجد أن الأطباق كلها قد رفعت ولم يبق فوقها سوى طبقه وقد برد ما فيه من طعام ، ويجد أن والده قد خرج من المنزل دون أن يصحبه معه، فتقول له والدته « من المؤسف أن طعامك قد برد ، ولكن لا بأس كله وبابا سوف يصطحبك غدا دون شك الى النزهة ، وهكذا يتعود الطفل دون ادراك على النظام وتقول له نفسه « أنا حر فى التزام العناد كما أشاء ولكن نتائجه لا تأتى لمصلحتى ، ان أحدا من الناس لم يعاقبنى ولكننى أنا الذى أعاقب نفسى » ٠

X

إعادة الانسجام بين الزوجين

على الزوجين أن يتكيفا مع الأدوار الجديدة التي تفرضها الظروف على كل منهما من تربية الأطفال الى تغيير معطيات العمل وظروفه الى ما تفرضه الحياة من تبدلات في الشخصية كما يجب أن يحترم كل منهما الآخر ، فالتبدلات أو الظروف تقف أحيانا عائقا بينهما ويبدأ الانسجام انسحابه عن حياتهما ، ولكن بامكانهما أن يتخذا خطوة تساعدهما على اعادة شيء من الانسجام بينهما كأن يذهب الزوجان في رحلات قصيرة بعيدا عن مسئوليات الحياة ، حيث يتفرغان لحياتهما الخاصة ويسعيان لاعادة الحيوية بينهما ، كما أن بعض الأزواج الذين يجدون أنفسهم على أبواب الطلاق قد ينفصلان عن بعضهما لفترة قصيرة يدرس خلالها كل منهما معطيات حياته الزوجية وما يريده منها وما لا يريده ومن ثم

يعودان للحياة معا ، وقد تكون هذه الفترة من الابتعاد بحد ذاتها كافية لكى يكتشف كل طرف حاجته للآخر .

ومن الطرق المفيدة أيضا الجلوس معا والتكلم بشكل منطقى وصريح ومطول ، وخلال هذه الجلسة يطرح كل من الطرفين ما يزعجه في العلاقة الزوجية بغية الوصول الى حل منطقى .. المهم هنا هو أن يصغى الزوج والزوجة الى بعضهما وأن يكونا على استعداد للتفاهم والتسامح والحوار من جديد ..

الامتحان الواحد مرفوض

كيف لنا أن نسمح لأنفسنا أن نحكم على مستقبل أى انسان طالب أو غير ذلك بما يعمله مرة واحدة فى السنة أو كما هو الحال فى الثانوية العامة نحكم على ما يعمله مرة واحدة فى العمر كله ؟

هذا فى الوجه الأكاديمى للامتحان أما الوجه النفسى فالامتحان يمثل واحدا من أشد الضغوط الحياتية على أى فرد ، ونقول بسهولة إن ضغط الامتحان يفوق أحيانا أى ضغط نفسى آخر بما فيها ضغوط العمل والحياة الزوجية أو حتى المرض الجسمى ، ونقول إن الفشل فى الامتحان من أشد المحن التى يواجهها الانسان ، فعند الفشل فى الامتحان يفقد الشخص ذاته ويفقد كرامته وثقته بنفسه واعتباره فى المجتمع وبين أقرانه ويشعر هنا أن هذا الفشل

بسبب نقص فيه وتقصير منه او قصور فى ذكائه
وليس كل الناس سواء في تقبلهم أو معاملتهم لأى محنة
من محن الزمن والحياة ففيها الكثير وقد يكون
الامتحان ضروريا لمعرفة الجيد من غيره ، ولكن لننظر
الى أطفالنا وخصوصا وهم فى السنين الأولى فى الحياة
المدرسية ، لماذا نعرضهم الى هذا العذاب الى هذا البعبع
الذى يخيف كل انسان ؟ ولماذا نسلم أن المدرسة شبح
مخيف وهم فى أولى أيامهم فيها ؟ اننا بذلك نعطيهم
الرسالة بأن المدرسة مكانللخوف والتأهب للاهانات بدلا
من أن تكون مكانا حلوا تختلط فيه الدراسة والعلم
باللعب واللهو البريئين .

فلماذا نعرضهم الى رهبة الامتحان ونحن نعلم أن
ذلك لن يقدم أو يؤخر شيئا فلنسأل أى مدارس أو
مدرسة في المراحل الابتدائية هل يحتاجون الى امتحان
نهائي ليفوا بقدرات الطفل الدراسية ، الطفل الذى
قضوا معه تقريبا تسعة شهور بين جدران الصفوف
الدراسية .

ان الامتحان فى هذه المرحلة لا يعدو أن يكون
تمثيلية يقوم بها المدرسون ويقع ضحيتها أطفالنا
الصغار ، وبعد ذلك هناك نقطة مهمة ألا وهى مرحلة

نضوج الطفل فهناك أطفال قد يتأخر نضوجهم الفكرى عن زملائهمقليلا ثم لا يلبثون أن يلحقوا بهم هؤلاء الذين قد يواجهون صعوبات فى التعليم لا تسمح لهم بأن يكونوا على مستوى زملائهم فى السنة الأولى وربما الثانية أيضا ولكنهم سرعان ما يعوضون كل نقص فى السنة الثالثة أو الرابعة ، فهل من العدل أن يرسبوا فى السنة الأولى ويصيبهم ما يصيبهم من حزن من الفشل على الرغم من أن لهم فعلا القدرة العملية على تكملة دراستهم فيما اذا سمح لهم بذلك فى مجال متعهم ومستقبل لحل مشاكلهم الدراسية المؤقتة ، ان استيعاب التلميذ للمادة بدون امتحان قد يصدق فى المراحل العالية وبالتأكيد فانه لا يصدق على المرحلة الابتدائية وخصوصا السنوات الثلاث الأولى من الابتدائية . فالمنطق يقول لنا ان المدرس الذى لا يستطيع أن يقدر أن تلميذه فى الصف الأول أو الثانى أو الثالث الابتدائى يعرف القراءة والمحفوظات والعلوم البسيطة أم لا ، فالمنطق يقول ان هذا المدرس جاهل جدا ولا يمكن أن يبقى فى التدريس ، فكيف يعقل أنه بعد سنة طويلة من التجارب والعلاقات القوية بين المدرس وتلميذه البالغ من العمر من ٦ ـ ٩ سنوات الا يعرف هذا المدرس مستوى تلميذه وما استوعبه من الدروس البسيطة ،

وهنا من يقول ولكن لماذا التهجم على الامتحـانات فاذا كان باستطاعة المـدرس تقـدير مقـدرة التلميذ فان الامتحان يضيف اليها وهـو بذلك زيادة فى الحيز ٠ نقـول ان فى نظرتنـا السـلبية الى الامتحـان وجهين الوجه الأول هو الجـانب الأكاديمى للامتحـان والوجه الثانى هو الجانب النفسى ، فلنأخذ الجانب الأكاديمى ، لقد وضع الامتحان لغرض معين محدد ومعروف وهـو تقدير مستوى الطالب الأكاديمى أى الدراسى ولكن هل يسـتطيع الامتحان أن يقرر ذلك ؟ وهل يسـتطيع أداء الامتحان مرة واحدة أو مرتين فى السنة أن يقول ان الطالب فلان جيد وفلان غير جيد ؟ الجواب ببساطة : لا ٠

ان المنطق العقلى يقول ان أستاذا أو اثنين عنـدما يمتحنان الطالب ربما يكون فى فترة يمر بهـا الطالب بظروف اجتماعيـة أو نفسية خاصة فلا يؤدى فيهـا الامتحان كما يجب فقـد يسهو الطالب ويجيب عن شىء بدلا من شىء آخر وتكون معلوماته بصـورة عامة جيدة ولكنه يؤدى هذا الامتحان بالذات بصورة رديئة وأحيانا لا يكون الامتحان دقيقا فى تقدير معلومات الطالب ، ثم ان هناك عوامل أخرى غير مستوى المعلومات مما قد يؤثر على درجة الطالب فالخط الجميل مثلا ممـكن أن يؤثر نفسيا على المصطلح ليعطى درجة وتقديرا عـلى

نفس مستوى المعلـومات التى يعطيهـا طالب ذو خط سيىء • وهناك حقيقة علمية ربما يعرفها القليل وهى أن حسن الخط أو رداءته لا يتعلق بالمعلومات أو مستوى الذكاء بل هى فى غالبيتها عوامل شخصية ووراثية . وان أسـلوب الاجابة يؤثر بدرجة كبـيرة عـلى المعلومات المعطاة ، فأسلوب الاجابة يتبع موهبة الطالب ، فهناك من له موهبة خاصـة فى الأسلوب وهنـاك من لا يتمتع بهذه الموهبة •

ومما يحز في النفس أننا نرى مدارسنا الآن ونحن نشرف على نهاية القرن العشرين وبداية القرن الجديد، ان أساليب التعليم ومناهج الدراسة لازالت على ما كانت عليه فى مطلع هذا القرن وكأن الدنيا لم تأت بجديد فى مجال التربية والتعليم ، فلازلنا نرى الأطفال الصغار وهم يرتعدون خوفا مما يسمى الامتحان ، ولا زلنـــا نقول كما قال آباؤنا •

« عند الامتحان يكرم المرء أو يهان »

وفى حقيقة الأمر لا توجد جملة أبعد عن الجو من تلك ، فأساليب التربية والتعليم الحديثة قد تغنى عن الامتحان كليا وهذا ما يحدث فى الغرب الآن • وأريد

أن أوضح آن ما أقصده هنا هو الامتحان النهائى والذى تقوم له الدنيا وتقعد ولا أقصد به الاختبارات اليومية أو الاسبوعية أو الشهرية فهذه الاختبارات كلها لها قيمتها فى تقدير معلومات الطالب وما استوعبه من الدراسى وبالتالى فانها بحد ذاتها تكفى لأن يقدر المدرس مقدرة الطالب على استيعاب دروس السنة المقبلة وبالتالى يقرر اذا كان سوف ينجح ام لا ، وبهذا يستطيع المدرس أن يقول للطالب ولأهله وولى أمره أن احتمال تحمل هذا التلميذ لدروس السنة المقبلة سوف لا يكون بدرجة تؤهله لأن ينجح ويقول ذلك قبل نهاية السنة بعدة أشهر على الأغلب لأن تقدير الأستاذ أو الأستاذة لمقدرة واستيعاب التلميذ للدروس أولا هو أكثر دقة من الامتحان ذاته وثانيا يكون فى موعد مبكر جدا على نهاية السنة وبذلك يكون تحذيرا للتلميذ وأولياء أموره ، وعليه يستطيع التلميذ اصلاح شأنه قدر الامكان فيما يتبقى من السنة واذا لم يستطع ذلك فان الأستاذ له المقدرة على تقدير ما بلغه التلميذ من استيعاب للمادة من خلال مشاركته فى الدروس اليومية والاختبارات الدورية وقد يقرر قبل نهاية السنة بأن التلميذ يجب أن يبقى فى صفه فى السنة المقبلة أو أنه يحتاج الى بعض الدروس الاضافية للتقوية فى العطلة

الصيفية ينتقل بعدها الى الصف الأعلى أ بامكانه اجتياز السنة الحالية مباشرة • وقد يقول البعض ان المـدرس لا يستطيع أن يقدر ذلك بدون امتحان ونحن نقول ان هذا غير صحيح ، فان تقدير الأسـتاذ لتلميذه أوق عن الامتحان نفسه •

مشــاكل الإخــوة والأخوات

المشكلات التي تحدث بين الاخوة ظاهرة طبيعيــة جدا ، وتعم هذه الظاهرة كل العائلات في جميع أنحاء العـــالم .

ولا يوجــد شيء يؤذى ويزعج الأبــوين أكثر من عراك ومشاكل الاخوة والأخــوات فالصراخ والعــويل والضرب والــرفس ورمى الألعــاب في وجه بعضــهم والتكسير والخراب بين الاخوة والأخوات حدث لابد وأن يمر أمام أى والدين .

وربما يظن البعض أن هــذه الظاهرة عدوانيــــة وهى ليست كذلك وانما هى تنافس أخوى .

ويمكننا القول أن التنافس الأخوى الأول هو (الغيرة) فالطفل البالغ من عمره سنة أو يزيد قليلا لن يتحمل رؤية طفل آخر فى حضن أمه وخصوصا المولود الجديد وهو يأخذ اهتمام الأم ورعايتها ٠

ولا يكفى أن يقال للطفل بأنه محبوب ٠

وكثيرا ما يتنافس الاخوة لجلب انتباه الوالدين فليس أصعب على الطفل من أن يهمل ، فبالنسبة لأى طفل لو أنه جلب أى انتباه من قبل أحد والديه حتى لو كان ذلك الانتباه بسبب عمل سىء اجراميا وأقول هذا على سبيل المجاز لهو أهون على الطفل من أن يحرم من ذلك الانتباه ، ومن هنا فمن الممكن حدوث عراك وضرب وفى بيدالاخوة حتى يجلبوا انتباه ذويهم، وهذا النوع من التنافس الأخوى علاجا من الأنواع الأخرى فما على الوالدين الا أن يعالجا الموضوع بحزم واصرار ويقولا كلمتهما لهذين الطفلين بالحرف الواحد (اذا كنتما تريدان العراك فعليكما أن تذهبا الى مكان بعيد ولا نريد أى نرى ذلك وعندما تتصافيان وتلعبان بهدوء ومحبة فمرحبا بكما أمامنا) وطبعا يجب أن نعرف أنه ليس هناك خطورة مباشرة على أحد الطفلين ٠ أما

اذا كان الموضوع غير ذلك فعلى الأب أو الأم أن يكفا النزاع مباشرة ويأمرا كلا من الطفلين بأن يأخذ نفس العقوبة بغض النظر عن من البادىء ومن المتضرر ويرسل كلاهما الى غرفة نومه ليحرم من اللعب ومشاهدة التليفزيون وسماع الموسيقى أو الكلام لمدة من الزمن قد تزيد حسب شدة الحالة أو يأمراهما بأن يذهبا الى النوم، وهذا الموقف من الوالدين يعطى رسالة الى الطفلين بأن العراك لا يؤدى الا الى حرمانهم من أن يجلبا اهتمام أبويهما وأن سكوتهما وخلودهما الى اللعب الهادىء هو وحده الذى يحبب والديهما ويجلب انتباههما .

كيف نجنبهم المشاكل ؟

بالنسبة لمشاكل الاخوة والأخوات أؤكد مرة ثانية أن المشكلة لا تحل ببساطة ولكن هناك بعض الملاحظات التي يمكن أن نتبعها لجعل الأخوة أكثر صفاء فيما بينهم ، ربما كانت مشكلتكم في البيت هي عدم وجود الانضباط الكافي انقوى بين الأطفال .

علينا أن ننظر الى الأسرة الصغيرة كمجتمع صغير وكما هي الحالة في المجتمع الكبير فان العدل والمساواة يجب أن يشيعا في هذا المجتمع وفي داخل البيت ، والأشخاص الذي يكلفون بحماية هذا المجتمع واشاعة العدل والنظام وسلطة القانون فيه هما الأبوان ، فاذا اختفت هذه السلطة شاعت الفوضى في البيت وانعدم النظام وضاعت العدالة .

وفى مثل هـذا البيت نرى أن الـكل يسـعى الى مصلحته حتى على حساب الآخر ، فيستغل الأخ الـكبير قوته ليأخذ حق الأصغر منه وقد يدافع الصغير عن نفسه باستخدام طرق للتوية مثل كسر لعب الأخ الـكبير ، والعبث بحاجياته وأشيائه القيمة أو التدخل بين أخيه الأكبر وأصـدقائه عنـدما يزورونه بأن يرتكب بعض الحماقات والأفعال الصغيرة المثيرة للأعصاب ولتفـادى مثل هذا الموقف، نؤكد على أهميـة وجـود قيادة محكمة من قبل الأبوين والتى من شـأنها أن تثبت العـدالة والنظام فى هذا البيت . وقد يستحسن أن نجمع الأطفال ونشرح لهم كل القوانين والأنظمة التى يقترح تطبيقها فى هذا البيت ، وعليهم من جهة أخرى أن يستوعبوا تلك

النظم ويتفهموها ويسيروا عليها ، فمثلا يجب أن يكون هناك قانون يمنع كل حركة استهزاء أو استخفاف أو تحـد من قبل أى أخ لأخيه أو أخت لأختها ، ويكون لكل طفل منطقة حدود تعتبر ملكه الطبيعى ولا يحق للطفل الآخر أن يتعدى هذه المنطقة بدون رضا الآخر ، فاذا كان عنده غرفة مستقلة فان غرفته تكون حدوده الطبيعية والشخصية ولا يتوقع من أخيه أو أخته أن يخترقوا تلك الحدود الشخصية الا بموافقته ، واذا كان أكثر من طفل يعيشون فى غرفة واحدة فترسم خطوط وهمية فيما بينهم

ليكون لكل واحد منطقته الخاصة ونحذرهم من أن يتحرش الأخ ـ أو الأخت ـ الأكبر بالأصغر منهما وألا يستفز الأخ الأصغر أخاه الأكبر وأن يلتزم بمبدأ احترام الكبير • وعند وجود أى اختلاف بين الاخوة فان الحل الوسط يكون باختيار أحد الوالدين واختياره يكون فاصلا وقاطعا ونهائيا مهما اختلفت آراء الاخوة فيما بينهم ، من الطبيعى أن هذه القوانين والأنظمة لا يمكن تطبيقها الا بوجود والدين حازمين لهما القيادة المطلقة فى البيت كذلك لهما القابلية والصبر على أن يكونوا فى موقف حكم بين أطفالهم على الدوام •

عبء التنافس

كيف نستطيع أن نخفف عبء التنافس وحدته بين الأخوة والأخوات ، لن ندعى أن هذا ممكن بسهولة ، ولكننا نحاول ألا نضع الأخوة والأخوات فيما بينهم في موقف أو وضع مقارنة لأن المقارنة هي بؤرة وخلاصة المشكلة التي يدور حولها التنافس الأخوى فطبيعة الحياة التي نحياها شئنا أم أبينا تضعنا دائما في موقف مقارنة ، فنحن لا نستطيع أن نقيس أى عمل نعمله الا بمقياس المقارنة ، فلا يستطيع العداء أن يقول انى أعدو بسرعة كذا وكذا الا اذا كانت هذه السرعة مقارنة بسرعات أخرى بلغها عداؤون آخرون وأرقام قياسية وهكذا ، كذلك لا يمكن وصف قدرة انسان أو قوة حيوان أو كفاءة آلة الا بمقاييس تقارنهم بقدرات أو قوى أو كفاءات أسوأ . ومن هنا تكون صعوبة التغلب على التنافس الأخوى ، فالاخوة فيما

يعيشـــون فى حالة مقـــارنة مستمرة ، وكل ما يملكه أحدهم من صفات شكلية أو عقلية أو نفسية أو قدرات عضلية وحركية أو مهارات فنية أو ميكانيكيـة كلهـا تقارن بنفس المقادير منها عند أخيـه أو أخته وهنـا يبدأ دور الوالدين ٠

أهم ما يمكن عمله من قبلهما هو أن يحاولا قدر الامكان أن يقللا من وضـع أية مقـارنة بين الأخـوة والأخوات ، وأحب هنـا أن أركز عـلى ثلاث صـفات تعد من أهم الصفات التى يقارن فيها الأطفال أنفسهم فيما بينهم وتكون بدرجة من الحساسية أكثر من غيرها ٠ على الوالدين أولا الانتباه الى الصفات الشكلية وهـذه النقطة تسـبب حسـاسية كبيرة بين الاخـوة وخاصـة الأخوات ، فكثيرا من الآباء والأمهات من يقول وبحضور احدى بناتهم ان فلانة أجمل من فلانة ، وهذا خطأ كبير لو قيل عن فلانة ما شاء الله انها جميلة أو انها حلوة أو قد صارت عروسة بدون أن تذكر الأخرى باطراء ، فان هذا كاف بأن يشعل نار الغيرة ويترك الطفلة المسكينة لتنزوى وتقول لنفسها « انى أنا القبيحة » ولذا فعلى الوالدين أن يكونا حذرين دائما من أى كلمة أو جملة يقولانها ويجب ألا تصدر الا بعد تفكير وتدقيق عـلى

المحيط والتأكد من أن أحد أولادهما ليس حافزا ليسمع رأيهما فيه وفي اخوته ، والموضوع الآخر الحساس الذى يجب الانتباه عليه بعد صفات الشكل هو الذكاء ومن أخطر ما يمكن أن يقال أمام أحد الأطفال انه أقل ذكاء من الطفل الآخر أو ان أحمد اشطر وأذكى من محمد وحتى بأن يذكر بأن أحمد هو الشاطر وأحمد هو الذكى • وقد حصل على علامات ودرجات عالية فى المدرسة • وهناك نقطة أخرى وهى عادة أكثر حساسية بين الأولاد الذكور وهى القدرة الرياضية ، فالأولاد حساسون فى تقبلهم لمدى قوة وسرعة ومقدرة أخيهم الرياضية بالمقارنة بمقدرتهم ، ومن هنا تظهر مهارة الوالدين فى جعل الموضوع يمر بدون أن يترك أثارا جانبية شديدة على أحد الأطفال لأن البديهى أن يكون أحد الاخوة أكثر قدرة رياضية من الآخر وهم بطبيعتهم فى حالة صراع ومسابقات مستمرة ، وباختصار يجب على الوالدين أن يحرصا على أن يوزعا مديحهما ونقدهما لكل الأبناء بصورة متساوية قدر الامكان ولكن هذا يترك مجالا آخر لا يمكن تفاديه ولا يمكن معالجته وهو ما يصدر من الأقارب والزوار والأصدقاء من اطراء ومديح لطفل دون الآخر وهذه سوف تظل مشكلة أزلية لا يمكن حلها •

نرثهم فى الممات ، يرثونا فى الحياة

لا شـك أن الترابط الأسرى فى مجتمعاتنـا من السمات الهـامة الذى تميزه عن سـائر المجتمعات فنحن مجتمع عربى مسلم ٠

ولكن عندما تنقلب العاطفة أو ينقلب الترابط فى هـذا المجتمع ليعيقنـا عن تحصيلنا العلمى وابداعنـا وخصوصياتنا ويطبق على أنفاسنا ويعيق حركة أفراد الأسرة وفى لحظة ما يولد الحزازيات وتكـون النتيجة عكسـية تبـدأ السـلبيات ظهورها فى مراحل أعمارنا المختلفة ٠

حتى لو كان هذا الفرد فى الأسرة منسباقا أو راضيا بهذه السيطرة التى تحكم العائلة كسيطرة الأب والأم وليس شرطا أن تكون السيطرة بالقسوة فكثيرا ما يشكل

الحنان بأبعاده المختلفة قسـوة نشـعر بهـا مع مرور الأيام فهنا يخضـع الشاب أو الفتاة مهما كبر لرغبـة الأسرة حتى يتشبث غضب الأب والأم لتعلقـه بهما • ولا نستطيع أن نقول دائما أن أيام أهالينا كانت أكثر حظا على العكس بل كان لها سلبيات أكثر •

كان الترابط الأسرى فى الماضى فى مجتمعاتنـا العربية أن تعيش الأسرة في بيت واحد عندما يتزوج الأبنـاء ، فتمارس عليهم سـلطة من نوع آخر باقتحام حياتهم الخاصة بين زوجاتهم أو ازواجهم ويجب أن يبقى الابن مطيعا كما كان ألا يتصرف الا بمشورة الوالدين ويخضع هنا الفرد الجديد الذى انضم الى الأسرة الى هذه السيطرة والأحكام ، فمثلا عندما يتزوج الابن ويبقى داخل هذه الأسرة وفى نفس البيت فإنه غالبا لا يستطيع التصرف بحريـة مع زوجتـه حتى يضـيبه التـأنيب فاستيقاظ الزوجة بميعاد تحدده الأسرة وتناول الطعام بميعـاد والتدخـل بكل صغيرة وكبيرة فى حياة الابن وزوجتـه •

وهنا تبدأ الزوجة إحساسها بالقهر والزوج هنا لا يستطيع ارضاءها خوفا على شـعور أبويه سواء كان رأيهما صحيحا أم خاطئا •

وإذا تطرقنا الى موضوع الوراثة وهي وراثة الآباء لأبنائهم فى الحياة ، نرث والدينا بعـد الممات هـذا ما حلله الله والشرع ولا جدال ولـكن أن ترث الأسرة الصغيرة أبنـاءها فى الحيـاة فهذا يعكس سلبيـة هذه المجتمعات وعدم ادراكها ووعيها وربما تكون هذه الأمور قد تقلصت عند بعض العائلات نظرا لظروف الحيـاة ولكنها موجودة بصورة أو بأخرى ٠

فقد كان ولا يزال الابن فى الأسرة هـو المسئول أن يبدأ بالفهم ٠

والمسئولية هنا ليست مساعدة والديه فى أمور الحياة العادية فهذا أمر لابد منه ، ونكن لنقف وقفـة صغيرة على لب المشكلة التى نلمسها فى مجتمعاتنا بدون استثناء ٠

الأب يريد أن ينجب ولدا ليحمل اسـمه ويكون المسـئول عن عـائلته فى حالة حدوث مكروه لوالده ، فمثلا يقول له أنت مسئول عن العائلة بعدى أخواتك أنت ملزم بهن لو حدث لاخت مكروه حتى عندما تكبر كانت متزوجة أو مطلقة أو أرملة ٠٠٠ الخ ٠ وحتى لو كانت جميع الأخـوات متزوجـات فانـه ملزم بهن

لانتظار أى مكروه يلحق بهن ، لا تسافر للدراسة خارج بلدتنا ابق بيننا ربما رحلت أنا ووالدتك أجمع النقود تنفعنا فى الكبر ، حتى لو كان الأب ميسور الحال ماديا فانه يطالب ابنه بالبقاء بجانبه منتظرا أى مكروه ، وهنا يجد الابن نفسه وقد شرب المسئولية تجاه عائلته الصغيرة منذ صغره ، ويبدأ فى الحد من نشاطه واستمتاعه بالحياة فهو مطلوب فى كل وقت وفى أية لحظة ويجب أن يكون على أهبة الاستعداد ودائما أن يحس ليصحو بعد فترة ويتساءل ماذا جنيت وماذا حققت ؟ .

وهذا الابن ربما لا يتزوج ليظل هو المسئول عن أسرته ويصحو ليجد اخوانه وأخواته قد تزوجوا وأنجبوا وكل اتجه الى الطريق الذى اختاره وهو لم يحقق شيئا وهنا لم يع الأبوين مشكلة طالما أنه سكت وتبرع بحقه من أجل الآخرين فما حرم من استحقه اخوانه وأخواته . وهذه المسئولية ربما لم يتحملها الابن الكبير شرطا فربما تحمله الابن الأوسط أو الأصغر أو الفتاة ، ولكن من وافق برضاه أو من وافق على الرغم منه لتحمل هذه المسئولية .

وكثيرا لا يصحو الأبوان على هذه الحقيقة وعندما يكبر بقية أولادهم لم يحاولوا ازاحة العبء على من قبل بتحمل هذه المسئولية الملقاة على عاتقه طوال حياته وكثيرا ما يصحو هذا الفرد عند موت أبويه ويتساءل ماذا حققت ، وهناك من يموت والده ويكون المسئول عن والدته ويظل بجانبها تبقى المسيطرة عليه حتى باختياراته أو أعماله وحتى زواجه وتحمله مسئولية أقاربها أيضا وان دخل فى مشروع عمل فيجب استشارتها وكثيرا ما تقف عائقا فى مجال عمله وتتناسى أن ما كان يتناسب فى أيامها لم يتناسب مع أبنائها ، وكثيرا ما يكون رأى الابن هو الصحيح ورأى الأبوين خاطىء نحن نقول لا يجب أن نغضبها وأيضا لا يجب أن نترك لهم حرية التدخل بمستقبلنا وحياتنا وزواجنا وعملنا اذا كنا على وعى وفهم ندرك ما نفعل ٠

عندما يصل هذا الفرد من الأسرة الى منتصف العمر أكثر يحس بآلام بداخله وأنه استنفد طوال حياته وبالتالى يكون الضحية ٠٠ ثم يقول هذا الفرد ، هذا نصيبى بينما هذا ليس نصيبا انما هو اخفاق وجبن وسلبية فمن يعطى أسرته يأخذ منها حريته الشخصية ويبحث عن ذاته ، واذا استسلم للقهر فهو يستشعر أن يعيش عبدا بقية عمره ٠

ولزوجك خـريف

عندما تستقبلين خريف عمرك بكثير من القلق ٠ وهذا الخريف الذى يطلق عليه سن اليأس ، حيث هناك أعراض بيولوجية تظهر على المرأة ولا تظهر على الرجل وهنا تظن المرأة أن الرجل معفى من هذه المعاناة مهما تقدم به السن ، فى الحقيقة لا ٠

فلو أمعنت المرأة النظر بتجربتهـا الخاصـة أو بتجارب الآخرين من حولها لأدركت حقيقة خطورة هذا السن على الرجل ، فالرجل فى هذا العمر أو من بداية فترة الخريف يواجه مشكلات ومتاعب متعددة وأكثرها تنعكس سلبيا على حالته النفسية ٠

يبـدأ الرجـل فى هذا العمر يصاب بحـالات من الاكتئاب تظهر عـلى طريقـة تصرفاته وقلقه وتمرده

ليبدأ بعمل كشف حساب واعادة الحساب ليتساءل ماذا حققت ؟ وماذا جنيت ؟ ولم تعبت ؟ وتساؤلات متعددة ، ولكنه يحاول ارضاء غروره وأنه الفارس المغوار والدائم الشباب الذى لا يهزمه الزمن • وهذه النقطة لا تهم سواء كان الرجل سعيدا بحياته الزوجية نسبيا أم شقيا ولكن تتفاوت هنا نسبة الشعور بالألم والاحباط من رجل الى آخر ، وهذه أيضا لا تعنى أن الرجل كان فى الماضى وقورا أم لا فهناك رجال عند مرورهم بهذا العمر تتغير سلوكياتهم ونتساءل ماذا جرى لهم وما الذى غيرهم ويبدأون هنا فى فقد نوع من وقارهم ، وهناك الرجال الذين لم يمروا بتجربة زواج يتعرضون لضغوط نفسية وشعور زائد بالوحدة •

متى نتزوج ؟ ومتى ننعم بالأطفال ؟ والأغلبية منهم يتزوجون لمجرد الزواج والانجاب وليس بالاقتناع بشريكة الحياة •

اذا تكلمنا الآن عن بعض الأعراض الذى تعانى منها الفئات الثلاث التى تكلمنا عنها فهى بالغالب متشابهة يبدأ هنا الرجل بتغيير الذوق فى ملابسه فيعمد الى شراء ألوان من الملابس عادة ما تكون صارخة لم نتعود أن نراه بها من قبل وحتى ربطة العنق تطغى

عليها الألوان والرسومات ، ومنهم من تكثر مجـاملاته ومعـاملاته الرقيقة للفتيـات الصغيرات فى السن فى جلساته وأحيانا صديقات بناته ، ومنهم من يلجـأ الى معاكسة الفتيات فى الشارع وهو يقود سـيارته ويقف لهم وربما يوصلهم الى أماكن توجههم ليحظى بنظرة أو بكلمة شكر ناعمة وينسى أنه يعمل سائقا لبضـع من الوقت .

وهنا تبدأ صبغة الشعر والشارب لتحتل جزءا من تفكيره سواء كانت مناسبة له أو لم تكن .

ويبدأ بعض الرجال في التفـكير فى الزواج من امرأة أخرى ولكن ما هى شروطه ؟ يجب أن تكون بكرا وجميلة وصغيرة فى السن ويتباهى عندما يطلب هـذه الشروط في شريكة العمر الثانية أو ربما الثالثة وعادة ما تفشل هذه الزيجات فقد يتناسى أن هذه الفتاة التي قبلته لم تقبـل الا لتتخلص من ضـغوط خاصـة فى حياتها سواء بفقدان الأب أو حنان الأب أو احتياجهـا المادى وغيرهم .

ويبدأ الرجل هنا بالحديث عن زوجته وأم أولاده حتى وان كان سعيدا معها يذكر عيوبهـا التى لم تكن

تظهر فى كلامه سابقا والاساءة اليها ليبرر موقفه فى فكرة الزواج الثانى ٠

ويبدأ الرجل هنـــا رحلة أخـــرى وهى البحث عن الأدوية المنشطة له ظنا أنها تعيـد الشـباب اليه ويبدأ الاهتمام بصحته وهنـــاك بعض الـــرجال عندما يرون أولادهم مع زوجاتهم وهم لازالوا فى شـبابهم فتصيبهم الغيرة من أولادهم ، ونبــدأ هنـــا معهم نقطة الأنانيـة والغيرة الشديدة ، حتى من الزوجة مع أنها كبيرة فى السن ، فيريد الزوجة أن تجلس بجانبه وتبقى معه ويبدأ ليكيل لها اتهامات كنوع من الغيرة بينما فى سابق عهده لم يكن ليتكلم فى هذه الأمور ٠

وهنـــاك الرجل الذى تتوفى زوجته وما أن تمر أيام معدودة على وفاتها ليبدأ بالتفـكير فى الـــزواج ، هذا حقه ولكن أن يفكر بالزواج من فتاة فى عمر الزهور وهو فى مرحلة الانعدام فهذا أمر عجيب فكيف يرضيها، وحتى فئة الرجال الذين لم يرتبطوا بتجربة ووصلوا الى سن متـــأخرة يعتبرون نفســهم صــغارا طالما أنهــم لم يتزوجوا من قبل وان فكروا فأغلبهم يبحثون عن الفتيات الصغيرات دون التفكير بعواقب هذا الاختيار وحتى ان

وجدوا شروطهم هذه فكثيرا ما تصـاب هـذه الزيجات بالفشل وحتى الخيانة من قبل الزوجة الصغيرة لأن معظم الرجال يفقدون قدرتهم على العطاء الطبيعى بين زوج وزوجة فالتكافؤ فى الاختيار هو من أهم أسباب نجـاح الحياة الزوجية .

عزيزتى الزوجة اذا كان زوجك من هـذا النوع حاولى ارضاء غروره فإن بداخله آلام الخريف وأعراضه .

ربما لم تكن القضية معممة ولكنها الغالبية .

أمراض الغــربة

كثيرا ما كتب الفلاسفة عن أمراض القرن العشرين وأهمها الغربة والعبث والتمرد واللا معقول .

ونحن هنــا ســنتكلم عن الغربة من واقع مجتمعنا العربى ككل .

أصــبح مرض الغــربة من أهم وأخطر أمراض القرن العشرين التى تواجه مجتمعنا العربى فى فترة حرجة نحن فى أمس الحاجة بها الى التخلص من عبء قرن مضى الى آفاق قرن قادم .

قديما كان انتقال شخص من القرية الى المدينــة بنفس بلده يشعره بالغربة وهو فى وطنه وبين شعبه وعشيرته ، ثم أصبح انتقال شخص من بلد الى بلد آخر

من نفس دينه وعقيدته يشعر بالغربة . فاذا وصل الى موطنه الأصلى آزيح عنه ستارها .

أما الآن فقد تطورت الغربة وأخذت أبعادا مختلفة وأكثر خطورة .

أصبحت الغربة الآن اغترابا ، انهـا غربة النفس وهذه أقسى أنواع الغربة التى تواجهها النفس البشرية في عصرنا هذا ، وعندما يحيا الانسان بين أحضان وطنه وشعبه وأهله لا يجد من يفهمه ويحس بما يدور فى أعماقه ، سرعان ما ينتابه شعور بالغربة ليسلم جسـده الآلة المتحركة الى مجتمعه ويبنى حول نفسه سياجا صلبة من القضبان ويشعر أنه أسير فى أرضه غريب عنها وعن أهله وهذا الانسان غالبا ما حاول مقـاومة التيارات المعوجة ولكنه استسلم فى النهاية ، بدأ يفقد الاطمئنان لا ينعم بالدفء الأسرى فتقطعت أحباله ثم تكبر دائرة الغربة الى محيط الجـيران والعمـل والأقارب . وربما وجد مع بعض الأصدقاء ما يفرج عنه . لبضع سويعات، فأين يذهب هذا الانسـان وقد ضاقت به أرضـه فأية أرض تسعه ليتخلص فيها من مخزونات الألم وهنا تبدأ رحلة التمـرد واللامبـالاة ، واللامبـالاة مرض خبيث

أفرزته الغربة ، هنا تتقدم عنده الرؤية للأشياء وينعدم عنده الاحساس بلذة الحياة ولا يرى من الأشياء قبعها ٠

وعندما يفقد هذا الانسان الشعور بالأمان والرضا وكما ذكرنا يتحول بشعوره الى اللامبالاة ، فينسلخ عن مجتمعهم فتطورأ الى الاحساس بعدم الانتماء ليفقد الاحساس بالوطن ليشكل عليه الوطن عبئا آخر ليسعى تفكيره وراء البحث عن الهجره ضاربا عرض الحائط بأى انتماء باحثا عن بديل لهذا الوطن دون التفكير عما سيلاقيه بالغرب سواء سيوفق أم لم يوفق ٠

ومنهم من استطاع الانسلاخ والهجرة والبعض من لم يستطع ذلك يبقى معبأ بالاحباطات التى تنعكس على تصرفاته وسلوكياته التى نراها كل يوم وهى الانتقام من هذا الوطن حتى لو دمر حائطا أو كسر كرسيا فى مكان عام او اقتلع شجرة جميلة مضللة أو أعلن الحرب بتصرفاته الرعناء على من حوله فبداخله يترعرع القبح فكيف يرى جمال الأشياء ونعود للفئة التى استطاعت ايجاد بديل لهذا الوطن فهى تتغرب فى البداية غربة الجسد وتتعبلتشق طريقها ولكنها تصمم على عدمالعودة

فربما أدركت أن هناك حقوقا للبشر ولو بدرجة أفضل ومفهوم لمعنى الانسانية أفضل فيتهرب هذا الشخص من مكان الى آخر وينتقل من عمل الى آخر ويعانى الكثير من المشقة محاولا تثبيت نفسه فى المكان الذى اختاره ، وبعد بداية مرحلة الاستقرار بعض الشىء منهم من يخـالجه الحنين ليفاجأ بمدى ازدياد شعوره بالغربة فالوطن تغيير بأهله وعشيرته وجيرانه وقوانينه ، فيرجع مرة أخرى الى الغربة الجسدية التى اختارها محاولا الاندماج بالمجتمع العربى أكثر وأكثر ويبقى غريب النفس ٠

كهـولة مجتمع

ماذا يتبقى ؟

ماذا يتبقى من مجتمع يخضع أفراده لبعضهم البعض وماذا يتبقى من مجتمع صغير يمارس علينا تسلطه وقهره منذ نعومة أظافرنا ليكون لنا أنياب نستعملها عندما نكبر ونمارس بطشنا على غيرنا وتدور هذه الدائرة هكذا .

فلنبدأ من البيت وهو الأسرة الأولى التي يتبعها .

البنت منذ نعومة أظافرها تخضع لسيطرة الأب ثم اضطهاد الأخ وعندما تبحث عن النجاة تقع في فخ قهر الرجل ، وولد يخضع لسلطة الأب والأم وربما العم والخال في جميع اختياراته من دراسته الى عمله الى زواجه .

ومن مجتمع يمارس الكبير بطشه على الصغير . ومن جار يحكمك ؟ يراقبك يتدخل فى شئونك منذ غادرت البيت الى آن نرجع اليه .

تقرر علينا الأسرة مجموعة من اللاءات ليس لعدم اقتناعها فقط وانما خوفا من جارك ومن صاحب البقالة في شارعك وحتى من البائع المتجول .

يعيقون ابداعك وانطلاقك وابداعها وانطلاقها جهلا منهم وخوفا من جهل المجتمع . ماذا يتبقى من مجتمع إذا طالبت المرأة به بحقها بالطلاق تلوك الألسن وتعبث بسيرتها ؟ وامرأة تخفى حقيقة عمرها ؟ ورجل يسلط سيفه على عنق المرأة خوفا من أن يتهمه مجتمعه بالضعف ؟ وطفل مقهور لا نعرف كيف نربيه أو ننصفه؟ ماذا تبقى من مجتمع يرى فى التعبير عن آرائنا جريمة؟

ماذا تبقى من مجتمع يحسب علينا أنفاسنا وعدد دقات قلوبنا ؟ مجتمع لا يرحم المرأة اذا خرجت للعمل ولا ينصفها اذا جلست فى البيت ؟ مجتمع يحرض الزوج على زوجته والزوجة على زجها ؟ ماذا يتبقى من مجتمع ترفع به النميمة شعارها ؟ كل متر مترقب ماذا يفعل به الآخر ؟ .

هذا المجتمع المقهور الذى يتصــابى به الرجــل وتقهر المرأة كيف يطالبنا بواجبــات ونحن لا نعــرف الحقوق ؟ كل ما نعرفه أننا عقول مغيبة ، مجتمع مقهور نفسيا واجتماعيا وسياسيا ، مجتمع يضع ســياجا من الخوف حوله ويخاف ممن حــوله ، الذى لا شــك فيــه أن هــذا المجتمع المعــرض لــكل هـــذه الآفات يكبر يقوقع نفسه على نفسه ٠٠ كيف يبدع هذا المجتمع ؟! وكيف يتطور ؟! وكيف يتقدم ونحن على أعتاب قرن جديد !؟

الفهـــــــرس

الموضوع | الصفحة

الموضـــوع	الصـــفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/١٠١٦١

ISBN — 977 — 01 — 6301 — 5

